سلسلة تاريخ البابوات

بطاركة الكرسي الإسكندري

الحلقة الثالثة

البابا متاؤس الأول

البطريرك ٨٧ (١٣٧٨ - ١٤٠٨م)

والأنبا فريج (الشهير بالأنبا رويس)

الشماس

كامل صالح نخلة

Melicca_tm

مطبوعات دير
السيدة العذراء ـــ السريان

سلسلة تاريخ

البابلوات بطاركة الكرسى الاسكندرى

الحلقة الثالثة

البابا متاؤس الأول

البطريرك ٨٧ (١٣٧٨ ـــ ١٤٠٨م)

والانبا فريج (الشهير بالأنبا رويس)

جمع المرحوم الشماس
كامل صالح نخله الاسكندرى
عضو لجنة التاريخ القبطى

حقوق الطبع محفوظة للدير

الطبعة الثانية
١٧١٧ش ـــ ٢٠٠١م
تنقيح ومراجعة
الأنبا متاؤس
أسقف دير السريان العامر

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مقدمة الطبعة الثانية

لكتاب سلسلة تاريخ البابلوات بطاركة الكرسي الإسكندري

في الفترة من ١٩٥١ ــ ١٩٥٤ أصدر دير السيدة العذراء ــ السريان ــ العامر خمس حلقات من سلسلة تاريخ البابلوات بطاركة الكرسي الإسكندري، ابتداء من البابا كيرلس الثالث البطريرك ٧٥ إلى البابا ديمتريوس الثاني البطريرك ١١١.

ونفذت هذه الطبعات من زمن بعيد.

وبتشجيع من بعض محبي التاريخ القبطي نعيد الآن تقديم هذه الحلقات في طبعة ثانية منقحة حتى يستفيد منها أبناء الكنيسة ويعرفون شيئا عن تاريخ كنيستهم العريقة.

وهذه الحلقات الخمس كما وردت في الطبعة الأولي هي:

الحلقة الأولى: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابا كيرلس الثالث البطريرك الخامس والسبعون

الحلقة الثانية: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابلوات

من البابا أثناسيوس الثالث البطريرك السادس والسبعون

إلى البابا غبريال الرابع البطريرك السادس والثمانون.

الحلقة الثالثة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابا متاؤس الأول البطريرك السابع والثمانون

الحلقة الرابعة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابلوات

من البابا غبريال الخامس البطريرك الثامن والثمانون

إلى البابا يؤانس السادس عشر البطريرك المائة والثالث

الحلقة الخامسة: تاريخ الكنيسة القبطية في عهد البابلوات

من البابا بطرس السادس البطريرك المائة والرابع

إلى البابا ديمتريوس الثاني البطريرك المائة وإلحادي عشر

وستكمل هذه الحلقات بكتاب قيم للمؤرخ الكبير المتنيح القمص صموئيل تاوضروس السرياني كان قد أصدره سنة ١٩٧٧ عن تاريخ الكنيسة القبطية في

عهد الباباوات من البابا بطرس السادس (الجاولى) البطريرك المائة والتاسع إلى البابا كيرلس السادس البطريرك المائة والسادس عشر.

ونحتاج إلى صلوات كثيرة حتى نستطيع أن نكمل هذا العمل الضخم من أجل الحفاظ على تاريخ كنيستنا المجيدة الذي هو جزء من تاريخ مصرنا الحبيبة. التي نطلب السلام لكل ربوعها والتقدم والرخاء لكل جموعها.

نرجو أن تكون هذه الحلقات المتتابعة سبب بركة لكل من يقرأها، ويصدق عليه قول الشاعر.

من حوى التاريخ في صدره .. أضاف أعمارا على عمره.

الله يعيننا بشفاعة أمنا الطاهرة القديسة مريم وبصلوات آبائنا البطاركة العظام الذين وردت أسماؤهم وسيرهم في هذه الحلقات والذين قادوا الكنيسة بحكمة كل هذه السنين الطوال التي تصل إلى سبعة قرون ونصف.

وببركة وصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنوده الثالث بطريرك هذا الزمان. أطال الله حياته.

ونعمة الرب تشملنا جميعا آمين..

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان العامر

صوم الرسل الأطهار يونيه ٢٠٠١

CYN θEW ✠ IC̄XC̄YPOC

تصـــــدير

انتهت بنا الأيام على عصر شحت فيه الفضيلة، وقل البر فى حيـــاة الأفـــراد والجماعات، حتى انت النفوس تحت ثقل عبء الحياة، لأنها بنظرتها المادية إلـــى الأمور قد حرمت نفسها من التمتع بالمعونة الالهية، وســـعادة الســـمو الروحـــى، والراحة النفسية. حتى بات الجميع يقررن أن العالم لن يستطع أن يستمر على هذا المنوال وما هذه الازمات النفسية والاجتماعية والسياسية التى تجتاحـــه إلا نذيـــر بتجديد شامل يتطلع فيه الانسان من جديد إلى السماء مصدر المعونـــة والرجـــاء، فينفض عنه الهموم والارتباكات، ويذوق ثانية معنى الإطمئنان.

ولعل من أفضل ما يثير كوامن هذا الرجاء، شعور الانسان بأن هناك أمثلـــة حية من البشر الخاضعين للآلام مثلنا إستطاعت أن تحقق الفضيلـــة فـــى حياتـــها وتتمتع بفيض بركاتها.

وشخصية هذا الكتاب المتواضع تعد أفضل نموذج لحياة انسان وصـــل إلـــى أعلى درجات القداسة فى عصر قست فيه ظروف الحياة على الاقباط إلى درجـــة تعرف مقدار شدتها إذا طالعت تاريخ الحلقات السابقة من هـــذا الكتـــاب فرغـــم التجارب والمفشلات التى اعترضت شبابه المبكر ورغم المسئوليات الجسام التـــى حملها راضيا بحكم وظيفته إلا أن هذه كلها لم تثنه عن أشواقه نحو الفضيلة، بـــل زادته دربة وحنكة فى الصمود أمام أشد المقاومات وغمرته نصرته بفيض مـــن المواهب والبركات. حتى بدت شخصية الانبا متاؤس من أعظم شخصيات التاريخ القبطى، ولمع نجم بطريركيته إلى أعلى ذروة فى سماء الكرسى المرقسى.

فنضرع إلى الرب أن يجعل سيرته العطرة هذه مثيرة لكوامن الفضيلة فـــى النفوس ويعيد للكنيسة مجدها الروحى التليد بشفاعة الأنبا متاؤس وكافة القديسين.

له المجد الدائم إلى أبد الآبدين أمين،

دير السيدة العذراء ــ السريان

+++++

مصـــــادر الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

نبتدئ بكتابة تاريخ البابا متاؤس الأول البطريرك ٨٧ نقلا عن

الميمر

الذى كتب من أجل انتقال أبينا السيد البطريرك الانبا متاؤس وذكر انتقـــال اولاده الشهداء المستشهدين فى أيامه وفيه من شرح الابوغالمسيس لان هذا البابـ كان يحب معانى أقواله فى حياته إلى يوم انتقاله الذى هو الخامس من شهر طوبه سنة ١١٢٥ش يرحمنا الرب بصلواته امين.

هذا

وقد اعتمدنا فى كتابة تاريخ هذا البابا القديس على الميمر المتقدم ذكره وعلى ما جاء فى كتب التاريخ الآتية:-

أولاً. المخطوطات القديمة

(١) كتاب ميامر شهر طوبه المبارك المحفوظ بمكتبة كنيسة الســيدة العــذراء الاثرية بحارة زويله.

(٢) كتاب تاريخ القديس رويس المحفوظ بمكتبة كنيسة السيدة العذراء الاثريــة بحارة زويله.

(٣) كتاب تاريخ القديس رويس المحفوظ بمكتبة كنيسة السيدة العذراء بالخنذق.

(٤) كتاب تاريخ البطاركة للأنبا يوساب اسقف فوه المحفـــوظ بمكتبـــة ديـــر السريان ومكتبة جرجس فيلوثاؤس عوض المؤرخ الشهير.

(٥) كتاب تاريخ البطاركة رقم ١٥ تاريخ المحفوظ بمكتبة الدار البطريركيـــة بالقاهرة.

ثانياً. الكتب المطبوعة

(١) كتاب تقاويم العصور المسيحية فى مصر واثيوبيا للعلامـــة شِـــنْ باللغـــة الفرنسية.

(٢) كتاب التبر المسبوك للسخاوى طبع المطبعة الأميرية بمصر.

(٣) كتاب تاريخ مصر فى القرون الوسطى تأليف العلامة لين بـــول باللغـــة الانجليزية.

البابا متاؤس الأول البطريرك (٨٧)

المقـــــدمة

لقد عثر على تاريخ البابا متاؤس الأول البطريرك (٨٧) فى الكتاب المتضمن الميامر التى تقرأ فى شهر طوبه المبارك الموقوف على بيعة السيدة العذراء مريم الأثرية الثابت أساسها إلى الأبد بحارة زويله بالقاهرة والمحفوظ بخزانة كتبها الآن وتاريخ كتابتها آخر شهر طوبه سنة ١٢٤١ش الموافق يناير سنة ١٥٢٥م أى بعد نياحة البابا متاؤس بمائة وعشرين سنة ويقول فيها الناسخ انها منقولة من كتـــاب أبينا القديس رويس الملقب بفريج فلتكن بركته معنا امين.

كما عثرت على صورة من هذه السيرة فى كتاب تاريخ البطاركـــة المنســوب لانبا يوساب اسقف فوه وصورة اخرى منها فى كتاب تاريخ البطاركة رقـــم ١٥ المحفوظ بالدار البطريركية.

ويظهر فى سياق السيرة ان الواضع لها هو أحد تلاميذ البابا متـــاؤس نفســه الملازمين له والمقربين للقديس رويس بن فريج كما يتضح أيضـــاً ذلـــك بصفـــة صريحة من قراءة أخبار عجايب القديس متى البطريرك بعد وفاته أن هذا الكـاتب مقيم بدير أنبا رويس بالخندق ويغلب على الظن انه اسقف الخندق وانه كتبها قبـل نياحة البابا القديس وكملها بعد انتقاله من هذا العالم وقد جاء فى هذا الميمر عـــن لسان كاتبه وواضعه ما يأتى:

"نعم يأبى البطريرك (اى البابا متاؤس الأول) كان الطوبانى رويس العريـــان يبشر من أجلك حتى أنه من زايد مسرته بك أخذ قلماً وقرطاساً ودفعهما لـــى أنـــا المسكين وثم صعد بى أعلى سلم وأشار لى ان اكتب بمـــا يكـــون قبـــل انتقـــالك قايلا:"طوبى لمن يكتب سيرة متى وطوبى للذين يحملونها من البلاد القريبة إلـــى البلاد البعيدة ولهذا ياسيدى الآب الذى دعانى الشوق والطاعة حتى كتبت بما كـــان معك قبل انتقالك ولا أطلب المديح من الناس بل لما اشار به روح القـــدس علـــى لسان ذلك الرجل العريان هذا الذى شدد ذراعى مثل قوس النحاس وقـــوى نطـــق لسانى كى اتكلم على فضايلك يارئيس الكهنة الذى ما كان يستحق أن يتكلم علـــى فضايله إلا أمثاله الكهنة الأولين كالعظيم يوحنـــا فـــم الذهـــب واغريغوريـــوس التاولوغوس وباسيليوس اسقف قيسارية هؤلاء الذين يستحقون أن يتكلمـــوا علـــى فضايلك وفضايل أولادك الشهداء المستشهدين فى زمانك هؤلاء الذين جمعتهم هذه

السيرة الفاضلة ليتم بذكرهم بعدما نبدأ بذكر اليسير من فضايلك منفعـــة وربحـا للسامعين بسلام من الرب أمين.

وقد صدَّر هذا الكاتب السيرة المذكورة بمرثية عظيمة الفايدة مرتبـــة علـى الابوغالمسيس أى رؤيا يوحنا الانجيلي لان هذا البابا كان يحب معانى أقواله فـى حياته إلى يوم انتقاله الذى هو الخامس من شهر طوبة سنة ١١٢٥ش.

وقد قمت بمطابقة هذه الصور الثلاث لسيرة البابـا القديـس متـاؤس الأول البطريرك ٨٧ المتقدم ذكرها ووجدتها طبق الأصل إلا أن نسخة بيعـة العـذراء القديسة بحارة زويله هى التى اعتمدت عليها لأنها أقدم الصور من جهة ولدقتـها من جهة اخرى فضلا عن انفرادها بذكرى الشهداء الذين نالوا اكليل الشهادة فـى عهده فضلا عن شرح الابوغالمسيس الذى كان يحب هذا البابا أقواله فى حياتـه نفعنا الله ببركاته هذا البابا القديس ومعاصره القديـس أنبـا رويـس والشـهداء المباركين المعاصرين لهما امين.

تاريخ
البابا القديس متاؤس الأول بالتفصيل
١. طفولية القديس متى

كان هذا البابا القديس الطاهر من ضيعة صغيرة مـن أعمـال الأشـمونين وتسمى بنى روح من صعيد مصر وتربى فى مكتب البلدة حتى حفـظ المزامـير والمردات وتعلم القراءة والكتابة. وبعد ذلك عهد اليه والده منذ طفوليتـه بالقيـام بمهام رعى الغنم فى بيت أبيه. وان الله المظهر عجايبه فى قديسيه أظهر فى هـذا الطفل منذ حداثة سنه فى الرعاية أعمالا عجيبة. فانه لما كان يقف ليلعـب مـع الأطفال أمثاله كان يضع يده على رأس كل واحد من الأطفال ويقول :"أكسـيوس. أكسيوس. أكسيوس" ثلاثة مرات وكان يرسم جمعة منهم قسوس وآخرين شمامسة حتى كانت والدته المباركة تعجب لذلك وتشير إلى الجمع قايلة:"ان ابنى هذا لابـد أن يصير بطريركا" متنبئة بذلك بالهام من الله سبحانه وتعالى. وصار يمارس هذه الأعمال فى صغر سنه إلى أن بلغ عمره أربعة عشر سنة (كتاب ١٥ تـاريخ ص ٢٧٢ وفوه ص ١٦٥).

٢. ميله إلى الرهبنة منذ حداثة سنه

لم يمكث الطفل متى قليلا حتى كبر ونشأ فلما صار له من العمر أربعة عشر سنة ترك حينئذ بيت أبيه ومضى إلى ديارات الصعيد وعمل بـــه راعيـاً للغنـم كعادته. وكان لا يلبس على جسده ثوبا بالكلية بل كان يتزر بعباءة وحبـل علـى حقويه. وكان مع حقارته فى ملبسه وانكار ذاته بهذه الصورة ذا شجاعة ممتـازة وقوة شديدة حتى أنه من عظم شجاعته كان الرعاة الذين يكبرونه سنا إذا رصدهم الضباع فى الليل للسطو على اغنامهم كانوا لا يقدرون علـى مقاومتـها فكـانوا يمتحنون هذا الأب فى شجاعته النادرة فيبعثونه إلى تلك الضباع ــ وكان إذا دنـا منها وزعق عليها بصوته تقفز منه وترجع هاربة منه حتى كان الرعـاة الذيـن يكبرونه سنا يندهشون من عظم شجاعته وسرعة اقدامه. وكانت نعمة الله تعـالى حاله على وجهه الصبوح. (فوه ص ١٦٥ "أ" وكتاب ١٥ ص ٢٧٣).

٣. انتصاره فى أول تجربة حلت به

وكان هذا الشاب متى حسن الوجه تام القامة محبوب الشكل جميـل المنظـر وكان كل من يتطلع اليه يميل إلى محبته واكرامه.

وكانت هناك امرأة فى المكان الذى كان يتردد عليه فلما وقع نظرها على هذا الشاب القديس أخذت مشاعرها زيادة حسن هذا الشاب واشتهت جمـال حواجبـه وتسلطت عليه. فما كان منه لشدة ورعه ونسكه الا ان انفرد على ناحيـة وحـده وقشط حاجبيه وأخذهما وجاء بهما لتلك المرأة قايلا لها:"خـذى يـاامرأة شـعر الحاجبين اللذين اشتهيتيهما" فلما نظرته الامرأة تألمت لذلك جداً ولكنها لـم تكـف عنه حتى سأل الاسقف الذى تتلمذ له أن يطلق سبيله لان تلك كانت تقيم فى مـنزل مجاور لدار الاسقف وكان الشاب يكتم أمر هذا الحادث على الاسقف حيث لم يـود أن يشهره. ولكن الامرأة ازدادت فى أمر التسلط على هذا البار فتقـدم للاسـقف وسأله أن يطلق سبيله فلم يشاء وما كان من الوديع متـى إلا أن ادعـى الـهبل والجنون وجمع للوقت ثياب الأسقف وبلالينه الموجودة تحت يده فقطعها جميعـها قطعا صغيرة وطرحها كوم شرايط وخرق. فلما نظر الاسقف هذا العمل ارتعـب قلبه منه واطلق سبيله ــ ففرح الشاب فى وقته لنجاح حيلته وقام ومضـى إلـى ديره. ولم يكن الاسقف يعلم انه فعل هذا بسبب تلك المرأة بل كان يعتقد انه فـى حاله جنون اعتراه. ولكن الله سبحانه وتعالى شاء أن يبرر تصرفات الشاب مـع

أبيه الأسقف فسألهم جماعة من المؤمنين أن يزوروا الأسقف ويطلعوه على جلية الأمر فاعلموه بما اتفق لهذا الشاب مع تلك الامرأة. فلما تحقق الاسقف صحة الخبر ندم على طرد هذا القديس وصار يتوقع الاجتماع به مرة أخرى (فوه ص١٦٥ "أ" و١٦٦ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٣ "أ" و٢٧٤).

٤. رسامة الشاب متى الراهب قساً

وقد تصادف بترتيب الهى ان اجتمع الاسقف بالراهب الشاب متى فقبض عليه ورسمه قسا وهو ابن ثمان عشرة سنة. فلما ذاع خبر الرسامة ووصل إلى مسامع آب الراهب متى الروحانى وهو الآب ابرآم القمص الفانى قام فى الحال وقابل الاسقف واعترض على تصرفه هذا قايلا: كيف جسرت ياأبانا وكرزت صبيا شابا راعى غنم قسا وهو ابن ثمان عشرة سنة" فاقنعه الاسقف ان الشاب يستحق أن يكون بطريركا لما كان يعلمه عن احواله لأن هذا الشاب الراهب كان فى مدة مقامه عند الاسقف يصوم فى زمن الصيف يومين يومين وفى زمن الشتاء ثلاثة ثلاثة. فلما سمع القمص أبوه الروحى ما شهد له به الاسقف تعجب ومجد الله المتكلم على أفواه قديسيه (فوه ص ١٦٦ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٤).

٥. هربه إلى جبال القديس انطونيوس بالبرية

ولما نظر القس متى ما وقع من النزاع بسببه مضى إلى جبل القديس أنطونيوس واختفى فى الدير ولم يظهر لأحد أنه كاهن. وكان فى خدمته فى الكنيسة يعمل كشماس بسيط حيث لم يشأ أن يعلم أحداً بانه قسيس كاهن ولكن ارادة الله هى فوق كل ارادة لانه حصلت معجزة بسبب تنكره هذا فانه فى أثناء الخدمة فى البيعة خرجت يد من الهيكل واعطته البخور ثلاث دفعات عند قراءة الانجيل ثم غابت عنه فلما نظرها بعض شيوخ الرهبان القديسين وتحققوا من رؤيتها أعلموه أنه لابد أن يصير بطريركا فلما سمع هذا منهم حزن جداً وقام وخرج من الدير (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٤ "أ" وفوه ص ١٦٦).

٦. رحلة القس متى إلى أورشليم

خرج القس متى من الدير وفى عزمه أن يتوجه إلى أورشليم فوصلها وتغرب هناك وكان يعمل كأجير فى الفاعل ويأكل من كده وتعبه وكان من عظم جهاده فى النهار يقطع الليل كله ساهراً فى مغارة ولا يخالط أحداً. وكان لا يتكلم فى اليوم

سوى سبع كلمات وأما يوم الجمعة فلا يتكلم فيه بالكلية مع أحد ما بل كان يتكلم فى الوحدة مع السيد المسيح النهار كله.

وهكذا ما برح هذا القس يجاهد فى أورشليم وهو يخفى حقيقة نفسه عن العالم إلى أن حضر اليه راهب غريب الجنس. فقال له هذا الغريب:"يارجل الله ارحمنى فانه كان معى مبلغ من الفضة ينفعنى فى غربتى سرقوه منى ولا أعلم من هو الذى أقدم على سرقتها منى" وكان الذى سرقها أخذها فى خفية وسار لساعته إلى بيت لحم قاصداً الهرب إلى بلاده. فلما علم الاب متى بالروح أمره ترك الراهب قايما مكانه ومضى لساعته إلى بيت لحم وهناك قبض على السارق وأخذ الفضة المسروقة منه فى خفية حيث لم يرد أن يشهر به وعاد إلى أورشليم وأعادها إلى ذلك الراهب صاحبها فتعجب الراهب من غرابة هذا الحادث وتعجب كثيراً لذلك وذاع الخبر لكل أحد فى أورشليم فلما علم الاب الورع متى ان امره اشتهر فى مدينة الله أورشليم المقدسة قام لساعته ورحل منها عاد إلى جبل القديس انطونيوس كما كان (فوه ص ١٦٦ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٤ و٢٧٥ "أ").

٧. عودة القس متى إلى دير انطونيوس العظيم

لما اشتهر أمر القس متى فى أورشليم غادرها وعاد إلى ديره بجبل القديس انطونيوس العظيم. وقد ناله عند عودته احزان كثيرة منها ان ملك البلاد المصرية حقد على النصارى لما وقع من الافرنج ما وقع فى مدينة الاسكندرية.

٨. اضطهاد القس متى والشيخ مرقس الانطوانى من دير القديس انطونيوس

هجم طوايف من الافرنج على مدينة الاسكندرية نهبوا أموالها وسبوا حريمها ثم تركوها ومضوا. وقد كان لهذا الحادث اثر سيئ على نصارى مصر فان الأمير يلبغا الذى كان حاكما فى تلك الأيام قام بالانتقام من هؤلاء النصارى وأرسل رسلا إلى جميع الديارة الواقعة داخل دايرة سلطانه يطلب أموالهم ويستولى على أوانيهم. فلما بلغ الرسل إلى دير أبينا انطونيوس قبض الأمير الذى كان على رأس الرسل على القس متى الذى كان رئيساً فى تلك الايام وعاقبه كثيراً للحصول على أموال وذخائر الدير حتى انه من زيادة شدة العقاب الذى حصل له صار كلما اقسم القس متى على الأمير أن يمسك عنه الضرب من أجل الله عز وجل فلم يسمع لاستغاثته ولم يمسك عنه الاذى حينئذ حنق عليه الشيخ مرقس الانطونى وانتهر الامير

قايلا:"أما تنظريا هذا انه يستحلفك بالله لترأف به وانت لا تقبل مرضاة الله" فلما سمع الأمير كلام الشيخ ازداد حنقاً وأمر الجند أن يطلقوا سراح القس متى ويضربوا الشيخ عوضا عنه وهكذا طرح الجند بالشيخ أرضا وضربوه أمام الأمير.

بعدما فرغ الأمير من عقاب الرهبان وشيخهم ورئيسهم أوثق الشيخ مرقس والقس متى وجماعة من الأخوة وانطلق بهم إلى مصر. ثم ضيق عليهم فى الطريق كثيراً بالجوع والعطش والمشي حفاة فى البرية. وكان الشيخ كلما سأل الأمير أن يسقيهم قليل ماء لا يفعل بل بالكاد دفع لهذا الشيخ قليلا من الماء دون رفقائه فامتنع الشيخ مرقس من ذلك ولم يقبل منه الماء حيث لم يشأ أن يشرب الماء وحده دون رفقائه وطرح الماء أمام الأمير وانتهره قائلا:"هوذا الرب الهنا يسقينا من عنده لانه أكثر رحمة منك" ثم رفع عينيه بحدة نحو السماء فاستجاب الرب لنداءه واسقط لهم مطراً غزيراً فىالحال حتى تعطل سير الحملة واضطر الأمير ورجاله إلى الوقوف مكانهم وتعذر سير الخيول من كثرة مياه الأمطار المتدفقة وكان ذلك فى زمن الصيف حيث تعب الاخوة وعطشوا جداً من شدة حرارة وتعب الطريق وحينئذ جلسوا وقت المطر واستراحوا وشرب جميعم وفرحوا وأخذوا يسألون الشيخ القديس أن يصلى عنهم كى يصلوا إلى مصر ويدخلوها سالمين فاجابهم قايلا:"ان الله لا يدعكم تدخلون مصر بل ستعودون إلى ديارتكم سالمين"..

وهكذا ما برح الاخوة يسيرون فى الطريق إلى أن بلغوا اطفيح وهناك وجدوا أن الأمير يلبغا قد انجز مرسوما بارادة الرب عز وجل وارسله إلى اطفيح يأمر فيه باطلاق سراحهم وعودتهم إلى دياراتهم. وهكذا عاد الشيخ والقس متى الرئيس والاخوة فى اثرهما وهما يرددون أيات الشكر لله ويقدمون له المجد والاكرام على عطفه وحنانه وعجايبه المدهشة. (كتاب رقم ٢٤ تاريخ بمكتبة دير السيدة العذراء بحارة زويلة ص ٨٤ "أ" و٨٥و٨٦).

وهكذا لم يمكث القس متى بالدير الانطونى إلا قليلا فاخذ الاذن من الطوبانى مرقس ومضى إلى دير المحرق بجبل قسقام (كتاب ١٥تاريخ ص ٢٧٥ وفوه ص١٦٦ "أ" و١٦٧).

٩. القس متى فى دير المحرق بجبل قسقام

كان سفر القس متى من دير الأنبا انطونيوس إلى دير المحرق بجبل قسقام بتدبير من الله تعالى لمنفعة الاخوة رهبان هذا الدير لأنه كان فيهم من لا يداوم على الصوم فى كل يوم إلى التاسعة فعلمهم هذا الأب ضرورة المداومة على الصوم إلى التاسعة وكان يبذل قصارى جهده فى كل يوم أمامهم كى يتعلموا منه بالنظر ما هو أفضل من السماع به. فكان تارة ينقل الرماد على رأسه ويغسل به أوانى المطبخ والقدور ويخدم الشيوخ والمرضى منهم ويقوم بالواجب نحو الواردين والمترددين. وكان مثالا كبيراً فى التقشف وزهد العالم فلم يكن له ثوب ولا قنية ولا قلاية بل كان أكثر اقامته فى مغارة خارج الجبل يصلى فيها وكان الشيطان يثير عليه فى تلك المغارة ضروبا كثيرة ويظهر له خيالات مفزعة فكان يهيج عليه السباع والضباع الكاسرة ليأتو اليه ويفترسوا به وكان هذا الأب القديس لا يخاف الضباع البتة بل كانت حينما تنظره تأنس اليه وتخافه وترهبه حتى صارت فى اليوم الذى لا تجد فيه قوت رضعانها تحملها اليه وتشكى فيعلم شكواها ويعطيها ما عنده من الخبز لتقتات به ويترك ذاته جائعا أياما طويلة بلا أكل إلى أن يعود إلى ديره.

وكانت الوحوش المفترسة لمحبتها فيه وتعلقها به تسير معه إذا سار فى الطريق وترجع عنه ولا تخالفه إذا أمرها بالرجوع. وكان مع خضوع هذه الوحوش الكاسرة لسلطانه لا يفتخر بذلك ولا يتحدث به.

وكان القس متى لا يتدبر برأى نفسه قط بل كان إذا عرض له فكرة يترك كل ما هو فيه ويسعى على قدميه ليلا ونهارا إلى أن يمضى إلى مدينة أخميم فيشاور أباه القمص هناك ثم يرجع إلى دير المحرق واستمر على هذا الحال فلم يبرح أن يتدبر فى تصرفاته بالطاعة والاستشارة من وقت لآخر إلى اليوم الذى أتفق فيه انتقال البطريرك الذى كان قبله من هذا العالم (فوه ص ١٦٧ "أ" وكتاب ١٥ تاريخ ٢٧٥ "أ" و٢٧٦).

١٠. ترشيح القس متى للبطريركية

انتقل البابا غبريال الرابع البطريرك (٨٦) من هذا العالم فى يوم ٣بشنس سنة١٠٩٤ش الموافق ٢٨ أبريل سنة ١٣٧٨م فى أيام سلطنة الملك على بن شعبان المنصور ولبث الكرسى بعده خاليا نحو ثلاثة شهور. فقام جماعة من الشعب

يبحثون على من يصلح للبطريركية من الرهبان لترشيحه إلى أن استقر رأيهم على أن يسألوا القس متى فى أن يصير بطريركا عليهم فلم يرض وقام واختفى عن الأعين ونزل فى مركب للايجار إلى الجهات القبلية. الا أن الطبيعة عاكسته بارادة الله عز وجل اذ امتنع الهواء أن يخرج فى هذا اليوم. والشعب قايم فى البحث عنه إلى أن أتى طفل بالهام الهى وكان صغير السن فغمزهم عليه قايلا:"إنه مختبئ فى خن المركب" فاسرع الشعب بالمضى اليه واخرجوه من الخن المختبئ فيه.

ولما علم انه ليس خلاص من ايديهم حينئذ سالهم بالحاح كبير أن يرسلوه صحبة اثنين منهم إلى جبل القديس انطونيوس ليشاور آبائه الشيوخ فيما هو معروض عليه.

فاجاب الشعب طلبه وذهبوا به إلى الدير المذكور وعندما وصله وابصره شيوخ الدير قاموا عليه وعلى الأخص الأب الطوبانى مرقس وأشاروا له بان لا يبرح عما رسم له بل يستعد ويقبل الخدمة ويعمل بطريركا (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٦ "أ" وفوه ص ١٦٧ "أ").

١١. رسامة القس متى بطريركا باسم متاؤس الأول

وصل القس متى مع وفد الأمة إلى مصر. ولما تحقق له أمر اختياره للبطريركية بصفة نهائية تألم قلبه لذلك جداً حتى لما زاد به الألم أخذ مقصا من فولاذ وقطع به طرف لسانه وطرحه أمام الشعب ولما رأوا ذلك منه تألموا جدا وقصدوا معالجته فلم يمكّنهم من ذلك لكن الرب أفسد تدبيره فان الاله القدير الذى أطلق لسان زكريا بعد الخرس هو الذى أطلق لسانه فتحقق للأمة أن راعيهم هذا هو مختار من الله لإعتلاء الكرسى الرسولى المرقسى (كتاب ١٥ ص ٢٧٦ "أ" وفوه ص ١٦٧ "أ").

البابا متاؤس الأول البطريرك الكبير الملقب بالمسكين

وبعد ذلك أمسكه الشعب وأعضاء المجمع المقدس ورسموه بطريركا فى اليوم الأول من شهر مسرى سنة ١٠٩٤ش الموافق ٢٥يوليه سنة ١٣٧٨م فى مدينة الاسكندرية مقر كرسيه باسم البابا متاؤس الكبير البطريرك (٨٧) وكان جملة من اجتمع من أعضاء المجمع المقدس ووضعوا اليد عليه بالاسكندرية فى ذلك اليوم احد عشر اسقفا وكان يود من المسيح أن يرسل له الاسقف الثانى عشر وانه لم

يخرج من الاسكندرية حتى أرسل له السيد المسيح الاسقف الثانى عشر وكملوا جلوسه بطريركا فى اليوم السادس عشر من شهر مسرى لمحبته فى ذلك اليوم الذى هو يوم تذكار سيدتنا العذراء الذى كان يحبها ويحتمى فيها ويلجأ اليها فى كل حين. (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٦ "أ" و٢٧٧ وفوه ص١٦٧ "أ" و١٦٨).

١٢. توجيه اهتمامه نحو تأدية فروض الصلوات واعانة المساكين والراهبات والرهبان

لما تولى البابا متاؤس الأول على الكرسى الرسولى لم يغير شيئا من نظام طريقته التى كان يسلكها قبل البطريركية بل حافظ على نسكه وتواضعه فى أيام بطريركيته. فانه منذ ان اعتلى الكرسى قام بتنصيب جرس من نحاس فى القلاية البطريركية بحارة زويله وصار كل من يسمع دقات الجرس ينهض لتأدية فروض الصلاة فى أوقاتها وممارسة الصوم فى كل يوم إلى الساعة التاسعة. وكان مع حرصه على الصلوات والسهر لا يغفل عن رحمة المساكين واعانة المحتاجين فانه اذا نصب كرسى الحكم وجلس للفصل فى القضايا ثم وافاه انسان جايع أو مسكين فكان يترك مجلس القضاء وينظر فى حال ذلك المسكين أو الجائع لأنه أفضل فى نظره من مجالس الحكم لأن هذا البابا القديس ما كان له من الاهتمام بالحكم مثل التفاته للمساكين ومنح الصدقة وعمل الرحمة ــ وكان من زايد اهتمامه بالصدقة والرحمة انه فى اليوم الذى لا يطرق بابه مسكين أو بائس كان يقوم بنفسه ويطوف على بيوت الأرامل والمساكين والبؤساء ويفتقدهم حتى الذين فى السجون فكان يزورهم ويتعهد كل واحد منهم.

ولم ينس هذا البابا الرحوم ديارات الراهبات والرهبان بل كان يهتم بامرهم أكثر من كل شئ فكان يطوف على كل دير من دياراتهم وينظر فى حالهم ولما عبر مرة على ديارات الراهبات وجد راهبة عجوز مسكينة جلست وقت الساعة التاسعة تأكل خبزاً وملحاً فقط فتألم من ذلك كثيراً وحزن قلبه على الراهبات حتى صار لا يغفل عن افتقادهن وصار يرسل إليهن فى كل شهر القمح والحبوب والزيت وغير ذلك من يوم بطريركيته إلى يوم انتقاله.

وكذلك لم يترك الذين فى الديارة والجبال بلا عائل بل كان يرسل لهم أيضا جميع ما يحتاجون اليه ويحمله اليهم.

كما كان يفتقد الذين فى الضوايق والشدايد من جميع الطوايف فكـــان يتلقـــى عنهم تلك الشدة وكان يعمل لخلاص الذين فى السجون فكان يطرح ذاتـــه علـــى أبواب الامراء والحكام ويبذل لهم الأموال الكثيرة حتى يخلص نفس كل انسان من تلك الشدايد وكان يطلب العوض فى ذلك من رب الاحسان والرحمة المسيح الـــهنا الذى كان يرسل له العوض أضعافا وكان كلما ازداد فى صنع الخـــير والرحمـــة تزايدت اليه العطايا من ذهب وفضة وكان يصرفه أولا بأول على المســـاكين دون أن يدخر له شيئا منها (فوه ص ١٦٨ وكتاب ١٥ ص ٢٧٧).

١٣. درس فى الاعتماد على الله بدلا من المال

اعتراض تلاميذ البطريرك على عدم احتفاظه بالمال للعوارض

لقد قام تلاميذه باحصاء ما تخلف عن البابا غبريال الرابع سلف البابا متـاؤس الأول فوجدوا انها تزيد عن مائة الف درهم وزعها جميعها صدقـــة منـــه علـــى المساكين والفقراء والمحتاجين.

ولما رأوا ان كل ما كان تحت يده وجميع ما يحمل اليه يقوم بصرفه وتوزيعه أولا بأول على المساكين قاموا على هذا البابا الرحوم وخاصموه وأشاروا عليه أن يبقى شيئا يدخره تحت يده لطارئ يطرأ عليه أو عارض غير منتظر. ولما اشتدوا عليه بالحاحهم حفر فى الأرض حفرة ووضع فيها ستماية دينار. وبعد ذلك فكـــر البابا متاؤس فى نفسه وقال:"يامتى ان الرب يقول فى الانجيل المقدس لا تكـــنزوا لكم كنوزا فى الأرض حيث السوس يفسدها والسارقون يحتالون فيسرقون وانـــت حبست ذلك عن المساكين وخزنته فى الأرض وخالفت قول الانجيل. أو ما تعلـــم ان الله سبحانه وتعالى يعوض بدل ما تعطيه للمساكين أضعافا" وندم على ما فعـــل وبكى ثم قام لساعته ليخرج تلك الستماية دينار التى خبأها. واذا فى أثناء الحفـــر يجد ستماية دينار اخرى كانت مخبأة كشفها له الرب من أجل رحمة المســـاكين. فلما نظر ذلك تعجب وصار يبكت تلاميذه على قساوة قلوبهم وعدم ثقتهم برحمـــة الرحمن الاله القدير قائلا:"انظروا ياأولادى اذا كان هذا صنيع الرب مع من ينجـز ويعطى المساكين فكيف تمنعونى أنا الحقير أن لا أعطى لاولئك المساكين" ثم أخـذ للوقت الألف ومايتى دينار وأشار على تلاميذه أن يشتروا بها غلة وقام بتوزيعـــها على الديارات والمحتاجين (فوه ص ١٦٨ "أ" وكتـــاب ١٥ تـــاريخ ص ٢٧٧ "أ" و٢٧٨).

١٤. مقاومة البابا للمجاعة ومكافحة الغلاء بالهام الروح القدس

الهم الله سبحانه وتعالى البابا القديس متاؤس بقرب حدوث مجاعة كبرى وغلاء كثير فقال هذا البابا لتلاميذه:"قوموا ياأولادى واشتروا الف اردب غلة للمساكين لأن غلاء عظيما سيقع بارض مصر ويموت الكثيرون من المساكين" فاجاب تلاميذه قائلين:"من أين لنا ياأبانا أن نشترى الف أردب غلة وليس معنا من ثمنها سوى خمسماية دينا لاغير" فقال لهم البابا المتكل على رحمة مولاه:"اشتروا ياأولادى ولا تخافوا والرب يهئ لنا خمسماية دينار اخرى لاجل المساكين". ولم يفرغ الكلام من فم البابا القديس حتى وافت اليه امرأتان من أعيان الناس ومعهما خمسماية دينار وسألوه أن يشترى بها قمحا للمساكين. فلما نظر التلاميذ هذه الاعجوبة العظيمة اندهشوا مما حصل وآمنوا بأن الاعتماد على الله سبحانه وتعالى خير من الاعتماد على البشر والمال المدخر وقاموا فى الحال واشتروا تلك الغلة كما قال لهم ابيهم البابا متاؤس (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٨ "أ" وفوه ص ١٦٩).

وبعد ما اشتروا الغلة لم يلبث الأمر طويلا حتى وقع بمصر ذاك الغلاء الصعب وهاجر اناس كثيرون من بلادهم واجتمعوا عند البابا البطريرك حتى امتلأ طريق قلايته من الجياع والمطروحين. وكان هذا البابا ينظر إلى كل طايفة منهم ويتألم قلبه عليهم وكان يهتم لهم جميعاً بما يحتاجونه يوما فيوما إلى أن ارتفع ذلك الغلاء وزالت الشدة عن الأرض (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٨ "أ" وفوه ص ١٦٩).

حينئذ دعا الغرباء وغيرهم وأعطى لكل واحد منهم ثوبا وكساء له وللنسوة ما يجب لسترتهمَ ثم زودهم جميعاً وكرى لهم سفنا تحملهم وأرسلهم إلى بلادهم حتى تعجب الناس لكثرة الثياب والأردية التى اقام مدة فى تفصيلها وخياطتها حتى كفت الجميع فى ذلك اليوم. كما كان يهتم بالأموات منهم فيكفنهم ويدفنهم. وكان يفعل الرحمة مع كل الطوايف نصارى ومسلمين ويهود. (كتاب ١٥ ص٢٧٩ وفوه ص١٦٩).

وكان الله سبحانه وتعالى يبارك فى جميع الغلات وغيرها كما بارك فى الخمس الخبزات والحوتين حتى صار تلاميذه اذا شكوا اليه من عدم وجود الغلة وان ما بقى فى المخازن لا يكفى الجمع للغد كان يقول لهم:"فرقوا ياأولادى ولا تخافوا لأن عندى مخازن أخرى فايضة ملآنة" ولم يكن يعنى هذا البابا المخازن الأرضية بل كان يقصد المخازن السمائية. لأنه كان من عادة البابا متاؤس أن يعيد

للسيدة العذراء الطاهرة والدة الاله وكذلك لرئيس الملايكة ميخائيل الطـــاهر عيدان في كل شهر وكانت المخازن اذا نقصت ودخل وباركها في هذين العيدين كـــانت تمتلئ غلتها وتفيض من البركة السمائية. ومما يحسن ذكره في هذا المقام انه لمـا شعر بقدوم وطأة الغلاء اشترى للديارات والجبال الف اردب ترمس لسد حاجـات الرهبان وقت وقوع الغلاء. ولكن حدث ان بعض الاخوة الرهبان لما رأوا إبطـاء وقوع هذا الغلاء صاروا يحمون من ذلك الترمس في النار كالزبل فلما حل وقـوع ذلك الغلاء ندم اولئك الرهبان كثيرا على سوء تصرفهم وأما الذين حفظـــوا مـا عندهم صاروا كلما جاعوا ولم يجدوا ما يقتاتون به صـــاروا يـأكلون الـترمس ويمجدون الله على هذا الحال.(كتاب ١٥ ص ٢٧٩ وفوه ص ١٦٩ "أ").

١٥. الرحمة تأتي ثماراً جيدة

ولما نظر الأغنياء الذين بلا رحمة إلى صنيع هذا البابا ولمسوا زايد محبتـــه في الرحمة صاروا يقتفون اثاره ويصنعون كما يصنع حتى ان أحد الأغنياء يسمى السعيد بركه بن وجه المهراني أتى إلى البابا وطلب قايلا:"انى أسألك أيها الأب أن تسأل السيد المسيح كي يعطيني رحمة في قلبي لاحب رحمـــة المســاكين مثلـك ويجعل انتقالي قبل وفاتك ويكون موتي أمامك. وأنا أعطي المساكين كـــل مـالي لاجلك" فقال البابا "كايمانك يكون لك يابني وكما اشتهيت يكون لك مثل قلبك" ومن تلك الساعة أعطى المسيح لذلك الانسان رحمة في قلبه كما طلب إلى أن صـــار لا يرد أحدا ممن يسأله بل لابرح يصدّق ويعطي وكانت أكثرصدقاته على الراهبـات إلى أن بلغت صدقاته على يد هذا البابا نفسه الف اردب غلة في كل عـــام فلمـا أرضى الاله بأعماله ودنت ساعته حركته الارادة الالهية فطلع ذات يوم إلى القلاية كي يتبارك من السيد البطريرك كعادته وفي تلك الساعة أدركه الموت في حضـرة البطريرك كما طلب حتى تعجب من أمانته الصادقة فكفنه بيده الطاهرة وكتب على كفنه:"سألت فاعطيت. قرعت فُتح لك لأن الله يسمع لأنه هكذا سمع للمرحوميـــن والمتواضعين". (فوه ص ١٦٩ "أ" و ١٧٠ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٧٩ "أ" و ٢٨٠).

وأما الأغنياء الذين بغير رحمة فقد حضر البابا متاؤس انسانا عند موته وهو التاج بن الثمار وسأله أن يعطي شيئا من ذهبه وفضته قبل موته فلم يسمع له ذلـك الغني ومات لساعته وأحاطت به الظلمة اذ أرسل الملك اليه قايدا ظالمـاً قبـل أن يخرج البابا من بيته فوضع يده على خزاين ذلك الغني وأخذ كل ذهبـــه وفضتـه

وذخايره قبل موته ثم مات ميتة رديئة مقهوراً وراحت نفسه فى الجحيم لأنه هكذا الشقاء الذى يحل بالأغنياء عديمى الرحمة (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٠وفوه ص١٧٠).

لهذا كان البابا متاؤس يحب أن يداوم جميع الناس على الرحمة كما أحبها هو ولذلك كان لا يترك لذاته شيئا الا ويصدّق به حتى انه فى اليوم الذى لا يجد فيه شيئا يتصدق به كان يعطى البساط الذى تحته للمساكين وفى دفعة تصدق بثوبه ووزرته وفى حين آخر بالدواة النحاس الموضوعة أمامه (فوه ص ١٧٠ وكتاب ١٥ ص ٢٨٠).

وواقاه ذات يوم انسان جايع عند المساء وكان جالسا يأكل طعامه فأخذ عشاءه من أمامه ودفعه لذلك الجايع ثم خرج وقرع الأبواب مثل مسكين فى طلب رغيف. فلما قرع الباب وتحققوا انه صوت البطريرك خرجوا له وسألوه أن يقبل أكثر من رغيف فلم يفعل. (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٠ وفوه ص ١٧٠).

وفى دفعة أرسل أحد تلاميذه يحضر له طعاما عند المساء فلما أبطأ ذلك التلميذ عن الحضور صار يبكت نفسه قايلا:"لماذا لم تكتف بالتراب عن الطعام ثم أخذ لساعته يغمس خبزه.فى التراب ويأكل إلى أن استكفى بالتراب عن الطعام (فوه ص ١٧٠ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٠"أ").

فتعجب تلاميذه لعظم صبره ليس فى المأكل فقط بل وحتى فى الثياب والبرنس الذى له. لأن هذا البطريرك لم يكن يهتم بحاجة الجسد ما كان يلتفت اليها بل كان يكتفى بمسح شعر من تحت ثيابه ويعطى جميع ما عنده لأولاده الأساقفة ولا يدع عنده غير برنس واحد برسم الخدمة. وفى احدى المرات سأل تلاميذه أن يعطوا ذلك البرنس الوحيد لاسقف مسكين قد أقامه فامتنع تلاميذه عن ذلك. فلما امتنعوا أرسل له الرب فى تلك الساعة برنساً جديداً من حرير كمخه أحسن من الذى عنده فاعطاه لذلك الاسقف فلما نظر التلاميذ ما كان مجدوا الله وندموا على مخالفتهم له ولم يعودوا بعد ذلك يخالفونه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٠ "أ" و٢٨١ وفوه ص ١٧٠"أ").

تواضع البابا متاؤس

وكان البابا متاؤس مع ما اتصف به من فايق الرحمة لا يتعاظم قط ولا يتكبر لأنه حاز مع الرحمة على فضيلة الاتضاع. وكان إذا دعته الضرورة يعمل مع

الفعلة والعمال معاجن الطين وينزح مراحيض البيعة الذى هو فيها مع العلمانيين. وكان يحمل الغلال من التراسين وكان يقوم أيضا فى الليل ويجرى خلف الحمير. وكان مع هذا كله لم ينحط قدره ولم تذهب عنه هيبته بل ازداد مجدا ووقارا فى أعين الناس. (فوه ص ١٧٠ "أ" وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨١).

خدمته الكهنوتية وحلول الروح القدس عليه أثناء تأديتها

وكان البابا متاؤس إذا لبس وتقدم لخدمة الكهنوت يتغير لون وجهه كالجمر ويصير لمع عينيه كالبرق لأنه كان ينظر بالعقل ابن الله قايما على المذبح فيخلف من هيبته جداً حتى انه من زايد خوفه كان الكهنة يسألونه الجلوس على الترونس (العرش البابوى) وكان يمتنع من ذلك ولا يجلس عليه قط ويخاطبهم قايلا:"ياأولادى هنا يجب أن يكون السجودأمام تلك الخدمة الرهيبة". وكان مع حرصه ينهر ويزجر كل كاهن كى يحترص فى خدمته خشية الملك السماوى الجالس على العرش. وكان كل كاهن لا يسمع له يحرمه فيموت لساعته. حتى أنه ذات مرة احتقر أحد الشمامسة حرم هذا البابا وتجاسر على الخدمة فسقط للوقت من سلم عال وتقطع قطعاً ومات. (فوه ١٧٠ "أ" و١٧١ وكتاب ١٥).

وفى دفعة قام انسان باخفاء الحجج المكتوبة عن بستان لأطفال أيتام فلما كلمه البابا متاؤس فى هذا الخصوص كان جوابه:"كلمتك تقطعنى ياأبى ان كنت اخفيت عنك حجج بستان أولئك الأطفال الأيتام" فرد عليه البابا بغضب قايلا:"من فيك يكون لك كما قلت" وهكذا لم يصل هذا الشماس إلى بيته حتى وقع ميتا ووجدوا ما أخفاه من الحجج فى جوانب بيته لأنه لم يكن يحكم بالظواهر التى تحكم بها الناس بل كان يحكم بإلهام وارشاد الروح القدس الحال عليه لأنه لم يكن يبتدئ فى محاكمته بشئ قبل أن يدعوا الحاضرين للمحاكمة أن يصلوا معه قايلين:"ياأبانا الذى فى السموات أى الصلاة الربانية" (فوه ص ١٧١ وكتاب ١٥ تاريخ ص٢٨١).

١٦. نصايح وأحكام البابا متاؤس بارشاد الروح القدس الحال فيه

وأما مكاتباته فكان يكتب فيها بعد ذكر الثالوث الأقدس ما يأتى: "الخلاص للرب" مشيرا بذلك إلى أن المسيح إلهنا الحى هو الذى ينطق على فمه بما فيه الخلاص لعبيده (فوه ص ١٧١ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨١ "أ").

ولذلك صارت كل محاكمته يتعذر على الملوك والحكام الفصل فيها يرسلونها إلى البابا متاؤس فتحل لوقتها باسهل طريق لتحقيق العدل لأن هذه الأحكام كان يصدرها قداسته بالوحى الالهى حتى ذاعت شهرته فى جميع الاصقاع حتى تعدت حدود الاقطار المصرية وسرت فى الخارج وسمعت بها الملوك الذين كانوا يقدمون له الهدايا الثمينة فكان ملوك الفرنج يعتقدون فى طهارته ويعترفون بقداسته ويلتمسون بركته.

وكذلك كان جماعة الروم يثقون فى قداسته لكثرة ما عاينوه من محبة هذا الآب القديس لهم وما لمسوه بايديهم وعقولهم من سلامة فى أحكامه التى كان يفصل فيها بينهم بكل انصاف وعدل. وكانوا عندما يلمسون منه هذه العدالة والسلامة والمحبة والانصاف فى أحكامه وارشاده يمجدون الله قايلين:"بالحقيقة كما سمعنا كذلك رأينا" (فوه ص ١٧١ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨١"أ" و٢٨٢).

زيارة البابا متاؤس الأول البطريرك ٨٧
لدير القديس العظيم انطونيوس

ولما كان الملك برقوق يحترم البابا متاؤس ويحبه ويعتقد فى صلاحه وبركته فانه لم يشأ أن يجلس على سرير الملك قبل أن يستشير البابا متاؤس صديقه ويسأله الرأي فى قبول الملك. فلبى البابا نداء الملك برقوق واستعد للقيام بزيارة دير القديس انطونيوس فى البرية لأخذ رأى شيوخه القديسين فيما يطلبه برقوق.

وبينما كان سيادة البابا متاؤس قادما إلى دير القديس أنطونيوس فقد سبقه إلى الدير الراهب يعقوب القليوبى من دير شهران وحضر إلى الشيخ القديس مرقس الانطوانى وصار يسأله ان يمنحه طرس بركة إلى ابينا البطريرك ليطيب قلبه عليه حتى يزيل أثر غضبه منه. فلما ازداد فى الالحاح على الشيخ بهذا الطلب وكان بجانب الشيخ مرقس قربانة فاخذها ودفعها لذلك الراهب وقال له:"كم من مرة تقول لى اعطينى اشارة لمتى هو ذا متى هوذا متى" وهكذا لم يفرغ القديس مرقس الشيخ الكبير من كلامه حتى اجتمع الرهبان اليه وأخبروه ان البابا متاؤس قد حضر من مصر. فلما سمع الراهب هذا الخبر أخذته الدهشة مما حدث فتعجب.

ثم اجتمع الاباء القسوس والرهبان وخرجوا للقاء البابا متاؤس بالصلبان والأناجيل والمجامر والنواقيس والشموع وخرج الاب مرقس والقمص ابرآم حاملين زعف النخل وأغصان الزيتون وهم يرتلون أمامه بفرح وتهليل.

وقد حضر فى صحبة البابا متاؤس نحو ثمانين نفس من أقباط مصر وأقام البابا هناك إلى أن كرز كنيسة الثلاثة فتية بالبستان وعمل البصخة المقدسة وحصل فرح عظيم لم يسبق له مثيل.

وعند عودة البابا وانتهاء مهمته التى حضر اليها أخذ فى السؤال من أبينا الطاهر القديس مرقس أن يذكره فى صلواته حينئذ أجابه الشيخ القديس قائلا:"اذهب ياأبانا ولا تخف ان الرب برحمته عليك قد جعل السماء امامك أرضا والارض سماء" وهكذا عاد إلى كرسيه بفرح واستقامت البيعة فى أيامه (كتاب رقم ٢٤ تاريخ بمكتبة كنيسة السيدة العذراء بحارة زويله ص ١٠٨و١٠٩).

وقد حدثت هذه الزيارة حول سنة ١٠٩٨ش (١٣٨٢م) وعاد إلى القاهرة حاملاً اذن الشيوخ القديسين بجبل العظيم انطونيوس بان يقبل الملك برقوق الملك لأن الله قد اختاره ملكا على هذه الديار المصرية (فوه ص ١٧٢ "أ").

فاقامه الله ملكا على سلطنة مصر وقضى جميع حياته محافظا على صداقة البابا ولم يسمع فيه سعاية كذبة فكثيراً ما سعى المعاندون لدى الملك فى هذا البابا فلم يسمع لسعاياتهم لأن الرب كان يحميه ويدفع عنه كل سوء (فوه ص ١٧٢"أ" وابن المقفع كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٤).

واشتهر أمر نزاهة القديس متاؤس فى أحكامه فى القضايا التى كانت ترفع أمامه ويفصل فيها بحكمته وعدله على أحسن حال حتى طرقت مسامع السلطان برقوق الملك الظاهر واعتقد بها بكل اخلاص فكان عندما يتعسر على هذا الملك العظيم الفصل فى القضايا الخاصة بخطف الأموال التى كان الشوايلة يدعون فيها أن الفرنج استولوا عليها منهم فى البحر المالح كان يستعين فى حلها بالبابا متاؤس لتعقد مسائلها وغموض حوادثها فكان هذا القديس بفضل روح الله الساكن فيه ورجحان عقله وحسن اخلاقه وطيب كلامه يحكم فيها بالعدل ويحل عقدها ويظهر الظالم من المظلوم (فوه ص ١٧١ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨١ "أ").

١٧. تجديد عهد السلام بين مصر وملوك الحبشة

وكان من حسن سياسة السلطان برقوق انه عندما تولى الملك وجه همته نحو ملوك الأحباش وجدد معهم عهود السلام وحسن الجوار وكان ملك ملوك الحبشة وقتئذ الملك داود الأول الذى جلس على سرير المملكة سنة ١٣٨١م أى قبل جلوس السلطان برقوق على عرش السلطنة المصرية بسنة واحدة وذلك بعد ان قامت

الثورة ضد أخيه الملك "توايا سريام ويدم أصغر" وعزلوه بعد أن حكم من سنة ١٣٧١م إلى سنة ١٣٨١م.

ولم تكن تعلم السلطنة المصرية بهذا الانقلاب (السخاوى ص ٦٨ وشيئ ص ٢٤٦ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٣ "أ").

فاشار الملك الظاهر برقوق على البابا متاؤس أن يكتب كتابا إلى ملك الحبشة. وكان البابا يعرف أن الملك "ويدم أصغر" هو الذى يجلس على عرش هذه المملكة. وكان البابا لا يحب هذا الملك لعدم استقامته وسوء تصرفه. فلما جلس ليكتب نطق الله على لسانه فعنون الكتاب باسم أخيه داود ولم يكتبه باسم ويدم أصغر المتولى قبله متنبئا بذلك على جلوس داود على كرسى المملكة بدل أخيه. فانكر عليه ذلك رسل الملك وامتنعوا عن حمل الكتاب لئلا يشعر الملك "ويدم أصغر" بهذا التغيير فى توجيه الرسالة الملكية المصرية اليه فيقتلهم. فالزمهم البابا بأخذ الكتاب كما هو ومضوا به إلى الحبشة. وقبل اقترابهم من الحدود علموا أن الملك ويدم أصغر عزله عساكره من كرسى المملكة لسوء تصرفاته وأقاموا أخاه داود مكانه. فتعجبت البيعة المصرية من حكمة البابا فى تصرفاته وايقنوا أنه كان مدفوعا إلى ذلك بوحى الهى ومجدوا الله.

ولما وصل الوفد المصرى إلى عاصمة البلاد الحبشية قدموا الرسالة البطريركية المتاؤسية بفرح عظيم لجلالة الملك داود. ولما فك الملك خاتم الرسالة وجد فيها أنها مكتوبة باسمه لا باسم أخيه الذى كان يعتلى كرسى المملكة وقت كتابتها فتعجب وأخذ يسأل الرسل عما إذا كان معهم صليب هذا البابا ومنديله وقد كان البابا أعطاهما لهم وكانوا محتفظين بهذه الوديعة المباركة إلى أن يفرغ الملك من قراءة الرسالة فيقدموها اليه. فازدادوا عجبا واخذوا يسالون الملك عن كيفية علمه بهذه الوديعة. فقال لهم الملك:"ان البابا السيد البطريرك هو الذى أعلمنى بذلك قبل وصولكم وعندى شهود يشهدون بذلك"ثم دعا للوقت عساكره وجنوده واخته المباركة أيضا وأخذ يقص عليهم ما أبصره قايلا:"انى بالحقيقة أقول لكم ياأحبائى انه قبل أن يجلسونى ملكا على كرسى المملكة أبصرت هذا البابا فى الرؤيا وقد خلع أخى من على كرسى ملكه وأقامنى عوضا عنه وقال هكذا:"ينزع الله الملك ممن لا يسير بالاستقامة ويعطيه لمن يسير بالاستقامة" ثم من بعد ما تكلم بهذا التصريح وأجلسنى على كرسى المملكة أعطانى هذا الصليب بيدى ودعا لى

ان الله يثبت كرسيً مثل داودالنبى لأقضى بين الشعوب بالعدل وأحكم الأمم بالاستقامة ثم بعد ما اتم الدعاء لى باركنى وانصرف عنى فانتبهت من نومى وتعجبت من هذه الرؤيا وكنت أود أن أشرح لكم هذه الرؤيا فى وقتها ولكن المباركة اختى منعتنى من ذلك خشية من بطش الملك أخى لئلا يشعر بذلك فيقتلنى لساعتى ولهذا دعوت شقيقتى مع جميعكم لتشهد لكم بما سمعته منى من قبل".

ولما أخبر الملك داود بهذا التصريح الجلى أمام الجمع مجدوا الله المظهر عجايبه على يد قديسه البابا الجالس علىالكرسى المرقسى بالديار المصرية وهو ينظر بالروح ما سيحدث من الانقلاب فى اقاصى الحبشة وينطق بما سيكون من نتائج الانقلاب.

أما رسول ملك مصر فانه لما عاد بعد ذلك مع رجال بعثته إلى مصر وأعلم الملك بما حدث من البابا متاؤس تعجب أيضا لأنه كان هو أيضا يحبه ويجله وكذلك كان البابا يحترمه ويحبه وأقام الملك برقوق طول أيام ملكه محافظا على سيادة البابا ولم يعكر صفوة أيامه ولم يسمع فيه سعاية كاذبة (فوه ص ١٧٢ وكتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٣و٢٨٤).

١٨. هدايا الملوك للبابا متاؤس لتجديد المحبة والصلح والسلام على يديه

وقد ذاع خبر هذا البابا القديس وانتشرت أعماله الصالحة فى أركان العالم كما تجدد على يديه الصلح والسلام والمحبة حتى شهد له ملوك النصرانية قائلين:"ان مثل هذه الأعمال الصالحة لم نسمع بها قط" ولم ينقطع سيل الهدايا الكريمة من الوصول اليه.

ومن بين هذه الهدايا العظيمة ان الملك البار ملك الحبشة داود الأول لما سمع بعظم تقدير ملوك الأفرنج لهذا البطريرك ومحبتهم له وكثرة هداياهم اليه قام بارسال هدايا ثمينة أعظم منها من بلاده إلى أحد ملوكهم قايلا:"اننى ما أرسلت اليك هذه الهدايا لطلب هدايا مثلها بل لتقدم لى شيئا من الاثارات السيدية التى فى بلادكم" ولما وصلت تلك الهدايا لملك الفرنج فرح بها وأرسل له ما هو أجل وأعظم منها وهو انه قد كان عنده فى ذخايره المقدسة الثمينة قطعة خشب سنية من خشب الصليب المقدس الذى صلب عليه سيدنا المسيح فاخرجها للوقت ووضعها داخل صليب مجوف من الذهب المرصع بالفصوص الثمينة وأخرج معها جسد طفل من أجساد الأطفال الذين قتلهم هيرودس المنافق فى ذلك الزمان

وجعلهم داخل صندوق من يصنب ثم وضع معهم من الأوانى الذهب والفضة والحلل الفاخرة التى للملوك والكهنة ما لا يمكن وصفه وانه صوَّر على احدى الحلل صورة هذا البابا متاؤس مصورة بالذهب اللامع.

ثم أرسل هذا الملك الهدايا إلى البابا متاؤس الاسكندرى لكى يقوم بتوصيلها إلى ملك الحبشة واستحلفه بان لا يرسلها حتى يقدس فى تلك البدلة الكهنوتية المصور عليها صورته ويصلي عليها ويباركها من فمه الطاهر قبل تصديرها إلى الحبشة لأنه كان عنده أمانة عظيمة فى بركة هذا البابا ولم يكن رآه من قبل ولا أبصره بل اعتمادا على ما كان يسمعه عن فضايله وكرامته وانه لعظم ايمانه بقداسة البابا سأله كثيراً حتى يعطيه قطعة من عمامته ليتبرك بها فارسل له ما طلب فكان يضع هذه البركة على المرضى الذين فى بلاده فيبرأون.

وقد اجاب رجاء هذا الملك ولبس البدلة وقدس فيها أمام الجميع الذين دعاهم للتبرك من الاثارات السيدية وتعجب الحاضرون من معاينة جسد ذلك الطفل الشهيد الذى ظل حافظا لحسن شكله إلى اليوم دون أن ينحل منه أى عضو من أعضائه ولا أصابعه وسألوا البابا أن يترك لهم هذه الآثار المقدسة فى القلاية البطريركية أياما قلايل للتبارك منها فلم يفعل بل قام فى الساعة التى وصلت فيها هذه الهدايا الثمينة بارسالها إلى ملك الحبشة. وعندما وصلت هذه الذخاير المقسة إلى بلاد الحبشة استقبلها الملك بفرح عظيم وموكب احتفالى. ولما عاين ملك البلاد البار أثار سيدنا المسيح مع جسد ذلك الطفل الشهيد تعجب وكشف التاج عن رأسه وأقام نحو ساعة مطروحا ساجداًأمام تلك الآثار المقدسة التى لسيدنا المسيح ثم لما رفع رأسه ورأى البدلة الكهنوتية التى عليها صورة البابا متاؤس مصورة صار يتهلل ويفرح ويسجد ويمجد الله الذى جعله مستحقاً أن يرى صورة هذا البابا القديس فى بلاده قبل انتقاله من هذا العالم. لأن هذا الملك المبارك كان يشتاق دايما أن يرى صورة هذا البابا للنبوة التى تنبأ له بها عن توليه عرش الملك موضع أخيه. (فوه ١٧١ وكتاب ١٥ تاريخ ٢٨٢ و٢٨٣).

١٩. حلم البابا متاؤس وصفحه عن خصومه وانتصاره عليهم

وقام راهبان منجوسان ضد البابا لطلبهما الكهنوت باطلا فسعيا ضده عند الملك برقوق ولما لم يسمع الملك لشكواهما سعيا به أيضا عند كل حاكم بمصر. وكان كل حاكم يمضيان اليه يتكلمان فى حق البابا بما يخالف ما ادعيا عليه به

عند الحاكم الآخر. ولما تحقق لدى الحكام كذبهما وضجروا من أعمالهما قصدوا أن يعاقبوهما ويلقوهما فى السجن ولكن رأفة البابا متاؤس وطول اناته لم تمكن أولئك الحكام من ايصال الأذى لهذين الراهبين وظل يحتملهما بصبر وبطول رحمة عليهما فلم يرجعا عن شرهما لأن الشيطان ملأ قلبيهما فهجما ذات يوم على قداسة البابا وهو متربع فى مجلس الحكم وقالا له:" مالك لا تقوم وتنحط عن كرسيك لأنه جاء الوقت الذى يصير فيه الواحد منا بطريركا والآخر اسقفا" فلما سمع كلامهما تبسم ولم يشتد غضبا بل أجابهما بكل اتضاع قايلا:"أما تريان ياهذان أن تصبرا علىَّ قليلا وأنا أضرب لكما مطانية أن تمهلانى أربعين يوما فقط حتى اتخلص من شؤون البطريركية ووديع الشعب التى معى. وبعد كمال الاربعين يوما تعالا الىَّ وأنا اسلم لكما كرسى البطريركية بلا مانع يعيقنى".

ولما قال لهذين الراهبين هذا الكلام فرحا جداً ومع فرحهما لم يدعهما البابا يمضيان حتى قدس وناولهما من الأسرار المقدسة. ثم بعد التناول تركاه ومضيا إلى أحد الأديرة لكى يقيما فيه مدة الأربعين يوما التى عددها لهما البابا. ولم يمضى عليهما ثلاثون يوما حتى أخذهما الرب وماتا واحداً بعد الآخر بقوة الصلاة التى لهذا البابا القديس فانه من فرط شفقته بهذين الراهبين لم يحقد على شرورهما بل ناولهما من السراير المقدسة قبل موتهما (كتاب ١٥ تاريخ ٢٨٤ و٢٨٥ وفوه ١٧٢"أ" و١٧٣).

وخرج راهب سريانى يدعى ابراهيم خرج عن الايمان القويم أمام الملك ثم اندمج فى سلك الجندية وبعد ذلك أخذ يتكلم فى حق البابا متاؤس ويتحدث عن الرهبان المجروحين الذين خرجوا عن الايمان ثم عادوا تائبين إلى البرية، بوشايات صعبة وكذبة. ثم أخذ بعض الجند وطلع اليهم بالبرية وقبض على جماعة من الرهبان واوثقهم وحملهم إلى مصر وكان يظن انه يجد أحد من أولئك المجروحين فلم يجد منهم سوى راهب واحد أحضره أيضا موثقا صحبة الرهبان إلى مصر حيث نال المجروح اكليل الشهادة. وأما الراهب الجندى الذى انكر مسيحيته فلم يبرح عن معاندة البابا متاؤس وصار يقاومه إلى أن ضجر الشعب منه وسألوا البابا أن يدعى عليه ويلعنه فلم يوافقهم وقال لهم:"ياأولادى لا تدعوا عليه بل انى ادعوا له كى يرده الله إلى حظيرة الايمان ويهبه اكليل الشهادة مثل اخوته". ولم يمض على ذلك زمن حتى أبدل الله شرور هذا الراهب وغيَّر ما فى

قلبه فاظهر ندما حقيقيا على ما فرط منه ثم مضى لساعته واعترف بالمسيح أمام الملك بعد أن انكره أمامه ونال اكليل الشهادة مثل اخوته كما دعا له البابا وتعجب كل واحد من قوة احتماله لهذه الشرور وعدم مقابلتها بأشر منها لانه كم من الشرور وقعت من المعاندين على هذا البابا القديس وهو يحتملها بصبر وطول أناة إلى أن يخلصه الله منها بسلام. (فوه ١٧٣ وكتاب ١٥ ص ٢٨٥).

٢٠. فشل سعى العامة لهدم كنيسة العذراء بالمعلقة بمصر ونجاتها

خرج البابا القديس متاؤس الأول من القاهرة قاصداً الأديرة البحرية ببرية شيهات للاعتكاف والصلاة فلما سمع جماعة من المعاندين بتغيبه لأنهم كانوا يخشون بأسه أثناء وجوده بالقاهرة لرابطة المحبة والاخلاص التى تربطه بالسلطان برقوق أغتنموا فرصة غيابه وسعوا للقيام بهدم كنيسة السيدة العذراء والدة الاله بالمعلقة فلم يمكنهم السلطان من ذلك بل الهمته العناية الالهية إلى الاستعانة بالقضاة الاربعة فى أمر الكشف عن تلك البيعة المقدسة فلم يجدوا شيئا مما إدعى به المعاندون فى طلبهم فانقهروا على كشف مؤامراتهم الدنيئة وامتلاؤا غيظا من فساد تدبيرهم السئ فلم يتمالكوا نفوسهم من شدة غيظهم فاخذوا جفنة نار واطلقوها تحت اساسات تلك البيعة يريدون حرقها بكمالها لكن الله عز وجل الذى سمع للفتية الثلاثة صلاتهم فى أتون النار وأطفأ لهيبها عنهم ونجاهم فببركة الراعى الصالح متاؤس لم يدع النار تصعد إلى علو البيعة. وبينما كان تلاميذ البابا متاؤس يطفئون النار من اسفل أرسل لهم رب السلام الحارس على بيعته المقدسة ندى بارداً بكثرة من فوق حتى أطفأ لهيب النار المتقدة حتى تعجب الحاضرون من هذه العناية الربانية ومجدوا الله على حسن صنيعه معهم. (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٦ وفوه ص ١٧٣).

٢١. فشل مؤامرة المعاندين فى أمر هدم دير شهران

ثم أراد بعض المعاندين أن يقوموا على دير شهران ويهدموه فقدموا إلى الملك برقوق عريضة يتهمون فيها رهبان الدير بادعآءات باطلة حتى أذن لهم بهدمه. فلما اجتمعوا لتنفيذ غرضهم السئ لم يمكنهم البابا متاؤس من ذلك لأنه اجتمع فى ذلك اليوم خلق كثير لا يحصى لهم عدد وظنوا انه لكثرتهم يخشى البابا بأسهم ويخاف من شرهم ويسلم لهم الدير ليهدموه. ولكن رجل الله الذى يستمد من العلى كل معونة لم يخف منهم وصار يناصبهم ويقاومهم إلى أن قال لهم محتداً:"من منكم

أيها الناس له يد وسلطان فليجرد سيفه ويقتلني لأني مادمت حيا لا أمكنكم من أن تهدموا طوبة من بناء هذا الدير إلا أن أقف أنا وأنتم أمام السلطان وأظهر له باطل ما ادعيتم به على رهبان الدير زوراً وبهتانا من الأباطيل التى لا أساس لها من الحقيقة". وبعد أن تكلم معهم بهذه الصفة تركهم البابا ومضى إلى القلعة واستغاث بقوة السلطان برقوق ملك مصر. ولما وصل صوت صراخه إلى مسامع الملك أرسل للوقت للكشف عن حقيقة ما نسب لرهبان الدير المذكور فلما مضى القضاة الاربعة إلى دير شهران وكشفوا عليه فلم يجدوا أثراً بالمرة مما ادعى به المعاكسون ومنعوا من الاعتداء على مبانى الدير فهرب اولئك الشاكون واختفوا من غضب الملك برقوق لئلا يبطش بهم لكذبهم فيما ادعوه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٦ وفوه ١٧٣"أ").

٢٢. خلع السلطان برقوق ونفيه إلى الكرك

ظهر فى شمال سوريا فى سنة ١٣٨٩م استياء عام من السلطان برقوق واشتدت وطأته بتدبير الأمير منطاش حاكم ملطيه والأمير يلبغا السالمى حاكم حلب. وقد استعان هذان الأميران بالمنغول والتركمان فى الحدود الشمالية للمملكة المصرية من جهة الشام التى كانت تابعة لحكم مصر. وتمكن الثوار من هزيمة الجيش المصرى بالقرب من دمشق فى ١٧ أبريل سنة ١٣٨٩م واستولوا عليها ودخلوها ثم اتجهوا إلى مصر. وفى هذا الوقت استولى على السلطان برقوق الهلع من سوء الحالة التى وصل اليها حتى فقد وعيه. وبعد أن الغى المكوس سلّح عامة الشعب وأقام المتاريس فى الشوارع وحفر الخنادق حول القلعة وتفجرت دموعه من شدة اليأس واختبأ فى دكان خياط. فدخل الثوار وعلى رأسهم الأميران منطاش ويلبغا السالمى القاهرة واعادوا الصبى حجى بن شعبان السلطان المخلوع ملكا بالاسم مكان برقوق (تاريخ مصر فى العصور الوسطى تأليف لين بول ص٣٣٠).

وقد حزن الشعب كله على انكسار الملك برقوق فقال لهم الأب رويس:"لا تحزنوا فغدا سيخرج الملك برقوق من منفاه وينتصر على عدوه منطاش" (سيرة القديس رويس المحفوظة فى ديره).

٢٣. اضطهاد الأميرين منطاش ويلبغا للبابا متاؤس

ولما انتصر منطاش ويلبغا على السلطان برقوق كما تقدم ذكره وليا مكانه السلطان حجى بن شعبان آخر ملوك المماليك البحرية. وكان ملكا بالاسم اذ حفظا لشخصيهما السلطة الفعلية فى المملكة (لين بول ص ٣٣٠).

وقام أحد المعاندين للبابا متاؤس الأول ووشى به عند الأمير منطاش بأن تحت يد البابا أموالا وذخاير أودعها عنده السلطان برقوق قبل خروجه من مصر ونفيه فى قلعة الكرك. فطلب الأمير البابا متاؤس وعصره فلم يجد تحت يده شيئا بالكلية من أموال السلطان فندم الأمير على ما أوقعه من عقاب على البطريرك وأطلق سراحه. ولكن الله لم يترك له هذا الظلم البين حتى نال جزاءه بالميتة الشنيعة التى أعدها له السلطان برقوق عندما استرد كرسى المملكة كما سيأتى بيانه (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٥ وفوه ص ١٧٣"أ").

وقد تسلط الامير يلبغا أيضا على قداسة البابا متاؤس وقصد أن يحدث على الشعب جوادث عديدة رديئة وعادات صعبة فلم يوافقه البابا على ذلك وقاومه. فجرد ذلك الأمير الفاجر سيفه بغضب يريد أن يضرب رقبته وللوقت مد البطريرك عنقه للسيف وسأله أن يضربه. فلما رأى الأمير شجاعته وقوة قلبه وصموده على الحق هلع منه وأطلقه ولكن الله جازاه على قبح تصرفاته اذ اسلمه إلى يدى الملك الذى كان اقامه واليا وضربه وعصره وأرسله إلى الجب فى مدينة الاسكندرية. وكان الشعب كلما خشى عودته كان يطمنهم البابا قايلا:"لا تخشوا ياأولادى شرا ولا تخافوا البتة ولا تظنوا ان ذلك الأمير سيعود إلى مصر لأنى وكلت بسجنه الاربعة حيوانات حاملى العرش الالهى. ولم يبرح ذلك الأمير مسجونا فى الاسكندرية إلى أن مات شر ميت. وان الشعب تعجب وأعطى المجد لله سبحانه وتعالى وقدم له الشكر على خلاصه من أيدى اعدائه سالما (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٥ "أ" و٢٨٦ وفوه ١٧٣ "أ").

٢٤. عودة السلطان برقوق إلى الحكم

وفى سنة ١٣٨٩ ميلادي وقع الخلاف فى صفوف الامراء وتراشق الأميران منطاش ويلبغا السالمى من سطح جامع السلطان حسن وأسوار القلعة بآلات القتال فمهدا بذلك السبيل للثورة التى أعدها فى الشام السلطان برقوق المخلوع لأنه تمكن من الهرب من سجنه فى قلعة الكرك وجمع الجيوش القوية وحارب بهم الثائرين

فقهرهم وانتصر عليهم فى سوخد وأسر السلطان الصالح حجى الخليفة العباسى ودخل القاهرة ظافرا فى ٤ صفر ٧٩٢هـ الموافق ٢٢ يناير سنة ١٣٩٠م. فاحسنت رجال الحاميات استقباله وابتهج الشعب بعودته وخرج اليه الاسرائيليون بمصاحفهم والمسيحيون بأناجيلهم وأضيئت الشموع وفرشت الابسطة تشريفاً له واظهارا لسرورهم.

وقام السلطان برقوق بالقبض على السلطان حجى وسجنه فى القلعة وسمح له أن يعيش فيها إلى أن مات فى سنة ١٤١٤م (لين بول ص ٣٣٠و٣٣١).

وقد تحققت نبوة القديس رويس التى أعلنها عند نفى الملك برقوق.

٢٥. القضاء على ثورة الشام واسر الأمير منطاش

قضى السلطان برقوق مدة السنتين التاليتين فى محاربة الثوار الذين يقودهم الامير منطاش فى سوريا حتى قضى عليهم واسر خصمه الأمير منطاش ثم قام بتعذيبه مر العذاب لينتزع منه سر مكان ثروته المخبوءة ولكنه لم يفز منه بطايل وأخيراً قطع رأسه وشهرها فوق حربة وأمر أن يطاف بها فى جميع مدن الشام وأخيراً علقها علي باب زويله بالقاهرة ثم نكل بباقى المتآمرين عليه وسحبوهم فى سروج الجمال وطافوا بهم فى شوارع المدينة حتى فارقوا الحياة (تاريخ مصر فى العصور الوسطى تأليف لين بول ص ١٢٦).

٢٦. قيام تيمور لنك بغزو الشرق

وما كاد السلطان برقوق يتمم حملته بنجاح حتى ظهرت بوادر غزو تيمورلنك المنغولى فى افق الشرق فاستولى على بغداد فى أغسطس سنة ١٣٩٣م وانحدر إلى الشام حتى اصبح يهدد السلطنة المصرية بالغزو. فقد جاء إلى السلطان برقوق رسل من قبل تيمورلنك يطلبون منه تسليمهم قرا يوسف أمير الدولة المادية الذى التجأ إلى حماية برقوق هربا من بطش تيمورلنك وكان طلبهم بطريقة فظة فقتلهم برقوق لشدة غضبه من غلاظة معاملتهم.

ولما بلغ الخبر إلى تيمورلنك استشاط غضبا وساق جيشه قاصداً مصر للانتقام. ولكن السلطان برقوق لم يغفل عن ذلك وتأهب للدفاع والهجوم وسار الجيش المصرى حتى الفرات ولكن تيمورلنك اشتبك فى القتال كلية مع طوقتمش فى جورجيا (لين بول ص ٣٣٢).

٢٧. وفاة السلطان برقوق وقيام ابنه السلطان فرج

ولم يكد يتم السلطان برقوق استعداده لملاقاة خصمه تيمورلنك حتى ادركته الوفاة بداء الصرع فى يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٨٠١هـ (٢٠ يونيه سنة ١٣٩٩م) فأسف عليه الناس أسفا شديداً لعدالة حكمه ويقظته ورفقته برعيته. (وحزن على موته القديس متاؤس الأول البطريرك لأنه كان صديقاً حميما له وكان يقضى له حوايجه ويرفق بشعبه ويقيم العدل بين الجميع دون النظر إلى الفارق الدينى).

وتولى بعده ابنه السلطان فرج ولقب بالملك الناصر وكانت امه يونانية الجنس(لين بول ص ٣٣٣).

٢٨. خلاص البابا متاؤس من الاضطهاد والسجن الذى وقع فيهما بعد موت السلطان برقوق

وعندما استولى تيمورلنك على الشام سافر السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق لمحاربته وناب عنه فى حكم مصر الأمير يلبغا السالمى. ولما خلا الجو لهذا الأمير. أوقع على المصريين ظلماً كثيرا حتى أنه أمر بحصر كل أبوابهم: أبواب المنازل والحوانيت والطواحين والافران والبساتين والسواقى والكروم وقدّر عليها ضرايب باهظة.

وقبض على البابا البطريرك متاؤس الأول وسجنه وأحضر نساء النصارى واليهود وألبسهم ملابس زرقاء وصفراء أمام البطريرك. ولكن البابا قاومه فغضب ذلك الأمير عليه واستل سيفه وشرع يضرب رقبة البابا. فمد البطريرك رقبته اليه وسأله أن يقتله. فرجع الأمير عن عزمه واندهش لشجاعة البابا وأراد أن يطلق سراحه. ولكن البابا رفض ذلك إلا إذا اطلق أبنائه المسجونين بدون ذنب أو جريرة.

وأتى أحد تلاميذ القديس فريج اليه فوجده ملقى على الأرض لا يتكلم فقال له:"ألا تعلم ان الأمير قبض على أبينا البطريرك وسجنه وكاد يقتله. فلماذا لم تحرك ساكنا؟". فرفع القديس فريج وجهه وأصابعه إلى السماء وقال لتلميذه:"انظر إلى فوق فان سيدتنا العذراء ستخلصه" ولما سمع التلميذ هذا الكلام من سيده ومعلمه اندهش من اطمئنانه وثباته.

وأخذت التلميذ سنة من النوم ورأى فى نومه صليبا من النور فى كبد السماء وخرجت منه يمامة حسنة المنظر وقد بسطت جناحيها على رأس البابا البطريرك. ثم سمع أثناء ذلك القديس فريج يخاطب البطريرك قايلا:"متى: متى لا يخف قلبك. لأن الحمامة الحسنة التى تحبها (مشيراً بذلك إلى السيدة الطاهرة مريم والدة الاله حامية البابا متاؤس) قد خرجت اليوم لخلاصك وستهلك عدوك". وعند ذلك استيقظ التلميذ من نومه وتوجه إلى البابا البطريرك فى السجن وقص عليه هذه الرؤيا.

وفى تلك الاثناء هجم أحد امراء مصر على السجن وكسر أبوابه الحديدية وأخرج البابا متاؤس البطريرك القديس ومن معه من المسجونين من السجن وهزم الامير يلبغا السالمى.

وفى ذلك الأسبوع حضر السلطان الناصر فرج بن برقوق. ولما علم بما فعله الامير يلبغا من الاعمال الوحشية قام بمطاردته من مكان إلى آخر حتى تمكن أخيراً من القبض عليه. وسجنه وأوقع عليه عقوبات الجلد والضرب حتى مات شر ميتة. وهكذا تمت نبوة القديس فريج بحذافيرها وانتقم الله للقديس متاؤس وأبنائه المظلومين من الجبار يلبغا سريعاً ونال جزاءه على ما اقترفته يديه الآثمة. (نقلا عن المخطوط المحفوظ بكنيسة العذراء بالخندق).

٢٩. قيام الامراء باضطهاد البابا متاؤس الأول وفشلهم فى أيام السلطان الناصر فرج

الحادث الأول:

وبعد انتقال السلطان برقوق من هذا العالم قام الامير سودون من امراء المماليك على المسيحيين وشن الغارة عليهم بوطأة شديدة فدبر ذات مرة مع المعاندين كمينا صعبا واتفقوا جميعاً على رمى المسيحيين فى ذلك الكمين. فلما كشف الرب للبابا متاؤس أمر هذه المكيدة قام لساعته وخرج خفية من قلايته ومضى إلى بيعة الشهيد مرقوريوس أبى سيفين وحبس ذاته فيها مدة سبعة أيام وسبع ليالى وهو مداوم على الصلاة بلا انقطاع سائلا المولى تعالى أن يخلص شعبه من هذه المكيدة فرأى فى الرؤيا السيدة العذراء مريم تحدثه قائلة له:"ان الله قبل طلبته فى خلاص الشعب وأبطل مؤامرة المعاندين السيئة" حيث ابتهج قلب هذا الاب وفرح فرحاً عظيما وخرج فى اليوم السابع مثل ملاك الله. وبتدبير من الله تعالى أرسل الامير سودون يطلب حضور البطريرك عنده فى ذلك اليوم وصار

يخاطبه بما اضمره للشعب من الحوادث الرديئة الصعبة ومن جملتها انه أراد أن يلبس النسوة الازارات الزرقاء وغير ذلك. فامتلأ البابا من روح الله وقال له "مَن من الامراء الذين تقدموك فعلوا هكذا مع الرعية؟ أو مَن من البطاركة رضي أن يشهر بنات شعبه ويجعلهن عاراً أو اضحوكة لصغار عوام الناس؟ ولكن الحق أقول لك أيها الأمير انك متى اشهرت بواحدة من بنات شعبى أنا لا أبرح أن أطلق الخراب والتشهير فى بلادكم من أطراف الحبشة إلى أقاصى مصر. وأنا اخبرك أيها الأمير ان النصارى ليسوا بغير ملوك الأرض ولا سلاطين مسيحيين ينظرون فى تسلطكم عليهم" فامتلأ الأمير خوفا وأطلق سراح الأب ولم يعد يخاطبه بشئ حتى تعجب الشعب من شجاعة البابا البطريرك وقوة اقدامه وسداد اجابته وقدموا الشكر لله تعالى على خلاصهم من هذه التجارب والمحن بشفاعة القديسة العذراء مريم والدة الاله معينة الملتجئين اليها فكانت تساعد البابا فى كل أعماله الطيبة كما شهد له بذلك القديس رويس (كتاب ١٥ تاريخ ٢٨٦ "أ" و٢٨٧ وفوه ١٧٣و١٧٤).

ومن عادة هذا البابا القديس انه كان لا يقدم على عمل أى شئ أو يتحرك فى شئ حتى يقف أمام ايقونة سيدتنا القديسة مريم العذراء والدة الاله ويسألها فيه وكانت تظهر له وتخاطبه من الأيقونة المقدسة كما قرر ذلك حقا القديس الطاهر رويس الذى كان يلازمه فى قلايته عندما سأله الشعب ذات يوم أن يذكرهم فاجابهم قايلا:"من أكون أنا ياأولادى حتى تسألونى أن أذكركم بل اسألوا أبانا القديس البطريرك الذى تظهر له سيدة البشر وتخاطبه من أيقونتها الطاهرة وتخبره بأسرار عجيبة وتساعده فى كل اموره فاسألوه هو أن يذكركم فى صلواته" فتعجب السامعون من كلام القديس رويس الذى شهادته هى حق ومجدوا الله الرؤوف بعباده. (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٧ "أ" وفوه ١٧٤).

الحادث الثانى:

وفى دفعة تكلم أحد الامراء مع الملك والقضاة أن لا يبقوا نصرانيا على الأرض فى مصر. فقام البابا متاؤس البطريرك وصلى مستنجداً بشفاعة الشهيد القديس مارجرجس قائلا:"أسألك ياشهيد الله يامارجرجس ان تنتقم من هذا الأمير. ولم يتمم البابا توسلاته حتى انتقم الله منه لشناعة مكيدته فقدم له أعوانه كأساً مملوءة سما قاتلا فشربها وهو لا يعلم بما دبروه له بمكر وحيطة ومات لساعته

ميتة شنيعة وانتقم الله منه لسوء تدبيره ضد شعب الله الوديع (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩١ وفوه ص ١٧٦).

الحادث الثالث:

وفى دفعة ثالثة اشتد غضب البابا متاؤس على أمير آخر من أمراء مصر يسمى أوزيك لفظاعة اعماله فاقام ستة أيام وست ليالى مداوما على الصلاة متوسلا بشفاعة رئيس الملايكة ميخائيل الطاهر ليخلص الشعب من نيره فلما انتهى اليوم السادس ولم يسمع عن ذلك الأمير خبرا أرسل أحد تلاميذه ليستطلع أخباره. فوجد التلميذ تابوت ذلك الامير على باب داره والناس يستغيثون قائلين:"ان هذا الامير له ستة أيام معذبا من طعنة فى جنبه إلى أن مات فى هذا اليوم". فطار التلميذ راكدا نحو معلمه واطلعه على جلية الامر فتعجب البابا وأعطى المجد لله سبحانه وتعالى والشكر لرئيس الملايكة ميخائيل الذى لم يخيب رجاءه للخلاص من هذا الامير الظالم (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩١ فوه ص ١٧٦).

٣٠. مواهب الشفاء التى منحها الله للبابا متاؤس الأول واقامة الموتى

الحادثة الأولى: شفاء صبية من روح نجس

اتت إلى البابا متاؤس صبية شابة اعتراها روح نجس يعذبها فى كل حين فلما رأى الروح النجس قيام البابا ليصلى امام أيقونة القديسة مريم العذراء فر هارباً ولم يستطع أن يدخل مع الصبية لكنه وقف خارج الباب ولم ينظره احد من الحاضرين لكن احد قسوس الصعيد أخبر رجال البابا بهذا الامر لان ذلك القس كان له موهبة رؤية المناظر الشيطانية مكشوفة أمامه. ولما شاهد هذا القس الروح النجس واقفا بالباب استعلم منه عن سبب وقوفه فاعلمه انه واقف هنا خوفا من البابا البطريرك. فتعجب القس من ذلك ولم يصدق هذا القول حتى دخل وسأل قداسة البابا عن أمر الصبية فتعجب كثيراً وقال للقس:"عرفنى أيها القس من الذى أعلمك بأمر الصبية التى لم يعلم أحداً بحضورها عندى" فقال له القس:"اغفر لى يأبى لانى رأيت الروح النجس الساكن فى هذه الصبية واقفا خارج الباب وهو الذى أعلمنى بذلك ولكنه لم يقف بل انصرف لساعته خشية أن اعلم قداستكم به فتحرقه صلاتكم القوية من على الأرض".

ولما أتم القس حديثه أمام البابا البطريرك تعجب كما تعجب كل من كان حاضرا أكثر منه لعظم الآيات والعجايب التى كانت السيدة العذراء تتمها على

إلى هذا البابا القديس ليس فقط فيمن يقدم اليه بل وأيضاً فـــى الغـــائبين عنـــه. (كتاب١٥ص٢٨٧ "أ" وفوه ص ١٧٤ "أ").

الحادثة الثانية: شفاء صبى من روح نجس

وأيضا كان صبى من ضواحى البلاد القبلية لمصر اعتراه روح نجس وكـــان اهله كلما أرادا حمله لاحضاره إلى عند البابا كان الروح يقلقه ويعذبه ولا يمكنـــهم من الدنو منه ولكن رحمة الله تعالى ألهمتهم أن يتقدموا إلى البابا يأخذوا منه ورقة بركة مكتوبة بخط هذا البابا ووضعها على الصبى فيشفى وبايمان صادق حضروا عند البابا وأعطاهم ما يطلبون فلما أحضروها ووضعوها على الصبى برئ فـــى الحال وتعجب أهل البلدة لهذا الحادث الجليل ومجدوا الله وصار من ذلك الحيـــن يضعون على كل من اعتراه روح نجس ورقة البركة هذه المكتوبة بخط هذا البابا القديس فيبرأ فى الحال. (فوه١٧٤ "أ" و١٧٥ وكتاب ١٥ تاريخ ٨٧ "أ" و٢٨٨).

الحادثة الثالثة: اقامة فاعل من موت محقق

كان انسان فاعل يعمل فى عمارة قايمة فى بيعة السيدة العذراء بحارة زويلـــة فسقط هذا الفاعل اثناء العمل من فوق السقالة على الأرض فحمل ميتا لأنه كـــان جاملا حجراً ثقيلا فلما وقع نزل على جسده ذلك الحجر طبق اضلاعـــه وقصـــد رفقاؤه أن يدعوه مكانه ويهربوا فلما سمع هذا البابا بالحادث حيث كان يقيم وقتئـذ فى هذه البيعة لم يمكن رفقاء العامل الهرب وقام عليهم قايلا:"اسكتوا ولا تقولوا ان الفاعل قد مات لأنه لم يمت وانا اضمن لكم من مراحم السيد المسيح انـــه حـــى" فحمله أربعة ووضعوه كأمر البابا أمام أيقونة السيدة العذراء مريم صاحبة البيعة ثم غطاه بوزرته نحو ثلاث ساعات من النهار إلى التاسعة وطلب قليلا مـــن المـــاء الساخن وصلى عليه وغسل به أعضاء الفاعل الميت فكان كلما غسل عضو مـــن أعضاء هذا الفاعل يتحرك العضو لساعته إلى أن قام حيا على قدميـــه بشـــفاعة صاحبة الشفاعات والدة الاله فلما نظر رفقاء الفاعل والحـــاضرون مـــا حصـــل الكرامة الفايقة والمعجزة العظيمة مجدوا الله.

وهكذا كان الأعلاء الكثيرون والمرضى العديدون اذا أدركهم نـــزع المـــوت والتجأ أقاربهم إلى بركة هذا البابا أقامهم بصلواته الزكية. كان إذا وضع وزرتـــه على أحد المرضى ويذهب يسأل السيدة العذراء فيه ويعود ويكشف عنه الـــوزرة يجده قد تحرك ونهض من نزع الموت لساعته.

وكان أحيانا يسأل البابا الملاك ميخائيل بان يشفع فى المريض فيشفى ويقوم فى الحال صحيحا سالما.

وهكذا كان يصنع هذا البابا القديس فى المرضى الذين يلجأون إلى صلاحه وتقواه فينالون الشفاء العاجل (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٨ وفوه ١٧٥).

الحادثة الرابعة: اقامة فخر الدولة من الموت

حكى أحد كبار الاراخنة المدعو فخر الدولة انه فى النزع الاخير ولم يجد البابا حاضرا عند موته فلم يشعر حتى أبصر البابا فى مجلس الرهبة والخوف وقت الدينونة عندما اختطف الملايكة روحه واقيم أمام كرسى السيد المسيح. ثم أبصر السيد المسيح يشير إلى الملايكة الموكلين به ان يشهروا كتاب خطاياه ورأى كتاب خطاياه وكان كل خطية ينساها ولا يذكرها يبكتونه عليها بلا رحمة ورأى هناك الخوف والفزع الشديد والنار المتقدة التى لا تطفأ حتى انه لعظم ما رأى وأبصر سقط لوقته مرعوبا وكان يطلب من يقيمه فلم يجد أحداً وبعد ذلك أتى البابا متاؤس وأقامه وسأل السيد المسيح بتوسل أن يعيد روحه اليه حتى يتوب عن خطاياه التى صنعها فسمع السيد له المجد لنداء هذا البابا ولم يرد سؤاله قايلا:"قد سمعت لك فى ذلك الانسان ووهبته اليك فعرفّه من الآن أن لا يعود يخطئ لئلا يصيبه شر أكثر" وبعد ذلك ما شعر هذا الارخن إلا أنه تنبه من غيبوبته وفاق مما كان فيه ووجد روحه قد ردت اليه فحكى ما حصل وما رأى ومجد الله وتحقق من قوة صلاة هذا البابا. وبعد ما استيقظ من الغيبوبة بادر إلى طلب البابا من قلايته فلما حضر أعلمه بالنعمة التى أدركته من قبله فتعجب ومجد الخالق ولكنه أخذ يبكى على نفسه التى أشغلها الشيطان بالحكم عن خدمة المرضى وافتقاد الذين فى النزع الاخير ولذلك ظل البابا القديس لا يفتر عن خدمة المرضى أمثال فخر الدولة والصلاة عليهم فيقيمهم له السيد المسيح حتى يعودوا ويتوبوا عن خطاياهم لانه لم يكن عنده أفضل من خدمة المرضى وشفائهم وخدمة الذين يستوجبون حكم الموت على سرير وجعهم إلى أن يتنيحوا ويسأل المسيح فى غفران خطاياهم.

وكان قداسته إذا وجد مريضا انف الناس منه يبذل نفسه دونه إلى أن يتنقى من جميع أوساخه ويشفى من أوجاعه. (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٨٨ "أ"و ٢٨٩ وفوه١٧٥).

الحادثة الخامسة: عنايته ببواب أحد الأغنياء أثناء مرضه

عبر هذا البابا القديس على باب منزل انسان من الاغنياء فوجد عند البـــاب عبدا لاصحاب المنزل ملقى مريضا قد جف وانتن من كثرة اوساخه ولم يجد مـــن يعتنى به ويعالجه. فلما نظر البابا هذا العبد المسكين على هذه الحال لم يلتفت إلـى اولئك الاغنياء اصحاب المنزل بل سارع للوقت واشتد بمنديل وغسل اوساخ العبد وفراشه وثيابه القذرة الملوثة من قذارته فضلا عن رايحته الكريهة الصادرة مـــن نتانة جسمه فارتاحت نفس ذلك العبد واراد الموت فى وجود هذا الآب للاستراحة من نتانة تلك الرايحة التى يستنشقها كل يوم فاستجاب الرب طلبـــه. (كتـــاب ١٥ تاريخ ص٢٨٩"أ" وفوه ١٧٥"أ").

الحادثة السادسة: انتشاله جثة امرأة مقتولة ودفنها

وفى أحد المرات عبر على بئر مُعْين مالحة الماء فوجد فيها امرأة مقتولة وقد جفت وفاحت نتانة رائحتها ولم ينهض احد من الناس لإنتشال جثتها ويعترف بـــها ويدنو منها فنزل عن دابته وتقدم إلى تلك البئر واصعد جثة تلك المرأة منه ولـــم يأنف من رايحتها بل قام بيده الطاهرة وغسلها وكفنها ودفنها (كتاب ١٥ تـــاريخ ص٢٨٩"أ" فوه ص ١٧٥"أ").

الحادثة السابعة: شفاء صبية من مرض عينها

كان هذا البابا اذا قويت الامراض المزمنة فى احد ما ولم ينهض له من يمكنه معالجته يقوم بنفسه بقوة صلواته المقبولة عند الله ويعالجهم فيشفون فـــى الحـــال. وحدث ذات مرة أن قدموا اليه صبية بكراً مصابة بقروح فى عينيها فلما نظرهـــا تحنن قلبه عليها وقال لأمها:"منذ الآن لا تعودى إلى معالجة ابنتك بالأكحال" وأشار اليها أن تضع فى عينيها شيئا من الادوية الحقيرة ففعلت وبرأت ابنتها فى الحـــال وذلك كما فعل أبونا برسوما العريان وغيره اذ كانوا يداوون الأمراض الصعبـــة بضدها من الأدوية ليعلم الجميع ان الأمر من الله وان الاعتماد فيه يكون بـــالصلاة القوية التى للقديسين الابرار كما قال يعقوب الرسول: ان الصلاة بايمان تخلـــص المريض والرب يقيمه وان كان عمل خطية تغفر له. (كتاب ١٥ تاريخ ص٢٨٩"أ" وفوه ١٧٥"أ").

الحادثة الثامنة: شفاء امرأة مقعدة

قدموا للبابا متاؤس الأول امرأة مقعدة قد يبست أصابع يديها ورجليها فامسكها بقوة ليفتح أصابع يديها فانشحط مع ذلك اقفال اصابع رجليها ونهضت للوقت بسرعة قايمة تمشى وتعجب الحاضرون لهذا الشفاء التام السريع ومجدوا الله تعالى (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٠ وفوه ١٧٥"أ").

الحادثة التاسعة:

قدموا إلى البابا فى دفعة انسانا ملسوعا من حيَّة جرداء وهو فى ألم شديد من تأثير اللسعة فاخذ البابا جرواً وشق بطنه ووضع فيه رجل ذلك الملموس ثم استحضر قليلا من اللبن وشحم الحنظل وأشار عليه أن يستعمله وظل يداوم على استعماله قليلا قليلا ويتقيأه حتى قذف ذلك السم جميعه وقام معافى لساعته(كتاب١٥ تاريخ ص ٢٩٠ وفوه ص ١٧٥"أ").

وهذا قليل من كثير الحالات التى قام البابا متاؤس الأول بقوة السيد المسيح وشفاعة والدته الطاهرة بشفائها بسرعة عجيبة حتى كان بابه مفتوحاً للمرضى وذوى الاوجاع فيخرجون من عنده مجبورى الخاطر معافين من كل شئ اعتراهم.

٣١. قيام البابا متاؤس باعانة ذوى الضيقات وخلاص الذين فى الشدة واظهار السرقات ومرتكبيها والمخالفين

كان البابا متاؤس الأول يعاون الذين يقعون فى شدة من الشدايد التى كانت فخاخها منصوبة لشعب الله المختار فيسأل السيد المسيح اله الخلاص فى خلاصهم من شدايدهم فيخلصون ويمجدون الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة العظيمة التى منحها للقديس الطاهر البطريرك المذكور نذكر هنا بعضها على سبيل التذكار.

الحادث الأول: خلاص ابن أحد الوزراء من شدة وقع فيها

وقع شاب من أولاد الوزراء فى شدة قوية مع الملك برقوق بمصر والتجأوا لهذا البابا كى يعينهم على خلاصه ولعظم هذه الشدة كان البابا يستغيث بالشهيد تاودروس فى خلاصه قايلا:"أنا أعلم ياشهيد الله إنك بشجاعة عظيمة خلصت أولاد الأرملة من فم ذلك التنين القاتل وأنا أربطك بالسلطان الذى أعطى لى من ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح ابن الله الحى ولا أحلك من الرباط إلاّ إذا اسرعت وخلصت ذلك الانسان من الشدة الواقع فيها الآن" ولم يتمم البابا كلامه هذا وطلب وساطة القديس تاودروس حتى خلص ذلك الانسان من تلك الشدة التى وقع فيها

متعجبا لا يعلم كيف كان خلاصه فازداد تعجبه من الكرامة الوقار الذين يكرم بها القديسون والشهداء هذا البابا (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٠ وفوه ص١٧٥"أ").

الحادث الثاني: إظهار السرقات ومرتكبيها

وكان البابا متاؤس يفعل مثل ذلك مع كثيرين من الشهداء والقديسين فكان اذا فقدت آنية بيعة من البيع كان يربط بصلاته الشهيد ولا يحله حتى يظهر له من سرق أوانى البيعة.

الحادث الثالث: اظهار سارق أوانى بيعة القديس انبا شنودة بمصر

سرقت ذات مرة أوانى بيعة القديس انبا شنودة بمصر فلما علم البابا بهذه السرقة حضر إلى البيعة وربط صورة القديس المذكور لم يحله حتى ارسل له من عرفه بالذى سرق اوانى بيعته. وكان هذا السارق اعتاد سرقة اوانى البيع فهاجم هذا البابا بيته وقام عليه وانتهره قايلا "كم لى من مرة وانا احتملك وانهاك عن العودة إلى السرقة من بيع الله المقدسة وانت لا ترجع عن سرقة اوانيها المقدسة ولا تكف عن السطو عليها. ولكن من الآن سياتى عليك الانتقام القوى الذى لا يكون لك بعده حياة على الأرض بل تموت شر ميتة" وبعد كلام البابا هكذا لم يمكث هذا الانسان الا قليلا حتى وقع فى يدى متولى الحكم فى القاهرة باوانى ذهب وفضة عدمت من بيته ولما تحقق انه تجاسر واقدم على سرقتها سمره لساعته وتم عليه قول هذا البابا شر ميتة جزاء ما جنت يداه (كتاب ١٥ تايخ ص ٢٩٠"أ" و ٢٩١ وفوه ١٧٦).

الحادث الرابع: مخالفة شماس للأوامر الكنسية وتوبته

اتى إلى البابا متاؤس شاب شماس وقال له:"يارجل الله ارحمنى فان شابا جنديا عبر اليوم علىّ وهو راكب فرس أبيض لم أر أحسن منه فضربنى ضربا وجيعا من غير رحمة وذلك لانى اكلت فى يوم الاربعاء والجمعة من باكر لانى كنت آكل فى خفية ولم اعرف من هو الذى عرّف ذلك الجندى بى وكان كلما يضربنى يقول لى:"كيف تكون نصرانيا وشماسا وتأكل فى يوم الابعاء والجمعة مبكراً ولهذا فان قلبى خايف منه". فقال له البابا:"لا تخف يابنى لأن الجندى الذى ضربك أنا اعرفه ولكن اذا مضيت بك اليه تتوب امامه عما اقترفته" فاجابه الشماس قايلا:"نعم يابى اتوب" وللوقت اخذه واقامه امام أيقونة رئيس الملايكة الطاهر ميخائيل. وكانت تلك الأيقونة تحوى صورة الملاك راكبا على فرس أبيض فلما تأملها

الشماس خر ساجدا امامه وقال:"بالحقيقة يابى هذا هو ذلك الجندى الذى ضربنى وأنا منذ الآن قد تبت امامه لانى شماس على بيعته المقدسة وقد افتكرنى وضربنى لكى اترك ما أنا فيه من لهو واستهتار وسأقوم كما يجب بتأدية خدمته" ثم تاب من ذلك اليوم وهو يتعجب من صلاة هذا البابا ويستغرب امر وجوده مع الناس على الأرض ويشاهد المكتومات الخفية (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩١"أ" و٢٩٢ وفوه١٧٦).

الحادث الخامس: خلاص بعض أراخنة القاهرة من شدتهم

وقعت شدة كبيرة على بعض من اعيان الاراخنة الموجودين بالقاهرة ولما عزموا الهرب عند البابا متاؤس والالتجاء إلى معونته وكان قداسته يقيم وقتئذ فى مصر لم يقووا على النهوض وادركهم الليل فناموا. وفى تلك الساعة أبصر أحدهم فى حلم البابا متاؤس قايما أمام أيقونة الشهيد مارجرجس يسأل فى خلاص أولئك الاراخنة ويقرع الأيقونة بيده ويقول:"ياشهيد الله يامارجرجس انى لا أعرف خلاصهم إلا منك" فامال الشهيد رأسه من الايقونة كمن يقول له نعم وكرر ذلك ثلاث مرات ثم حنى رأسه كمن يقول:"نعم نعم أنا اخلصهم". فلما نظر البابا ما كان من تواضع الشهيد انطرح ساجداً على الأرض فعظم الأمر على الشهيد من سجوده له وخرج من الايقونة مثل فارس متجسد. فامسك باذيال البابا متاؤس وتبارك منه ثم ان البابا فعل بالمثل كذلك اعنى أخذ الواحد يتبارك من الآخر.

ولما انتبه هذا الارخن من نومه وقص تلك الرؤيا على رفقائه لم يصدقوه. وفى الصباح الباكر خرج الأمر من الله سبحانه وتعالى بشفاعة شهيده العظيم مارجرجس بخلاص أولئك الاراخنة وفعلا بعد برهة وصل اليهم ان الأمير عفا عنهم من غير سعى. ولما تحقق لهم أمر خلاصهم قاموا فى الحال ومضوا إلى البابا البطريرك يقدمون له الشكر على ما رأوه فى الرؤيا المتقدم ذكرها من غير أن يحضروا اليه ودون أن يسألوه فى ذلك بل كل ما صنعوه انهم اضمروا فى نفوسهم أمر الاستعانة بشفاعته لا غير وان البابا شعر بنيتهم وعمل على خلاصهم بدون سؤال منهم وتعجب جميعهم لهذا الحادث العظيم ومجدوا الله على خلاصهم ببركة قديسه متاؤس. (كتاب١٥ تاريخ ص٢٩٢و٢٩٣ وفوه ص١٧٦"أ"و١٧٧).

الحادث السادس:ليس بالذهب يكون الخلاص

واتى إلى البابا متاؤس أحد الكتبة وهو مكروب فى شدة عظيمة وقدم اليه خمسماية دينار قايلا:"يارجل الله اقبل منى هذه الخمسماية دينار وصلى لى لأن الملك برقوق يريد قتلى اليوم ولا أعلم كيف يكون خلاصى" فقال له البابا المكرم:"لا تخف ياهذا ولا تظن انه بالذهب الذى احضرته يكون خلاصك لأن الصلاة بالذهب ليس فيها خلاص بالكلية فان أردت أن تخلص أعد الذهب الذى أحضرته إلى مكانه والرب يخلصك من غير ذهب بالمرة" ثم قام البابا وصلى عليه وباركه وارسله إلى الملك برقوق وأعطاه صليبه ومنديله قال له:"احمل هذين حولك وادخل على الملك ولا تخف" فامتنع وخاف بالأكثر أن يحمل الصليب فتقع عليه الأفكار اذا شعر به أحد. فقال له البابا:"قلت لك احمل الصليب والمنديل من الداخل وقابل الملك وأنا أضمن لك باذن الله تعالى الذى تحمل صليبه خلاصك فلا يضرك الملك ولا يؤذيك بالمرة".

فاطاع الكاتب كلام البابا وحمل المنديل والصليب ودخل بهما على الملك وكان مملوءا من الغضب عليه ولكن فى تلك الساعة تبدل الحال وانقلب غضب الملك إلى اللين والرأفة وصارت كل كلمة يفوه بها هذا الكاتب أمام الملك تدخل فى اذن الملك مثل الندى البارد فتطفي ما عنده من الغضب جميعه فخرج الكاتب المذكور من عند الملك فرحا متقويا ومباشراً على عادته وتعجب من الصلاة القوية التى لهذا البابا والتى بدلت غضب الملك وحنقه وغيرت نيته على قتل الكاتب إلى محبة وحنو وعطف ورضا وكان كل من سمع بهذه الحادثة العجيبة يمجد الله ويقدم له الشكر على رحمته بعباده وقبول صلاة قديسه الورع متاؤس البطريرك (كتاب ١٥ ص٢٩٢"أ" و٢٩٣ وفوه ١٧٧).

٣٢. كشف البابا متاؤس لخطايا شعبه وخفايا الامور

وكان البابا متاؤس الأول يشترى نفس الآتيين اليه ويخلصهم بصلاته القوية من الضوايق والشدايد والخطايا. وقد أخبر أحد أولاده الكهنة المعلمين انه كان قد وقع فى خطية صعبة مكتومة لما حضر أمام هذا البابا ليعترف بها عليه أخذه خوف واستحياء ولم يجسر أن يعترف بها أمامه فما كان من البابا إلا وكاشفه بها من تلقاء نفسه قايلا "انت فعلت الخطية الفلانية فلا تعود إلى عملها مرة أخرى وأنا أقول لك من الآن ان خطاياك غفرت لك" فلما سمع ذلك الكاهن تعجب ومجد الله

على كشف البطريرك للاسرار الخفية لأن تلك الخطية ما كان يعلم بها إلا المسيح وحده ولما كاشفه بها ازداد تعجبه وتحقق له أن كل خطايا الشعب مكشوفة أمام هذا البابا الطاهر مثل زيت فى زجاجة ولا يرى من الحكمة أن يشهر بها بل اذا أراد أن يبكت أحداً على خطيته كان ذلك فى طريق الخفاء دون أن يشعر أحد بذلك. لان الخطية قد كثرت على الأرض وكان الكثيرون من الشعب قد اختلفوا وتنجسوا بنجاسات المصريين ولذلك كان هذا البابا يتنهد ويبكى على الشقاء الذى سيحل بالمصريين حتى انه من زايد بكائه أخذ ينذر شعبه قايلا:"تيقظوا ياأولادى وتحذروا من ذلك اليوم الذى يأتى فيه الانتقام على المصريين لأن فى ذلك اليوم تنزل نار من السماء وتحرق كل مساكن المصريين حتى يعلو بخار تلك المدينة ويقومون من بعد ينوحون عليها قايلين:"اليوم سقطت بابل العظمى ام جميع المصريين" (كتاب١٥ تاريخ ص ٢٩٣ وفوه ١٧٧).

وكان هذا الآب الحنون والبابا القديس الطاهر كلما خاطب شعبه بهذا محذراً لهم كى يتجددوا ويتنقوا من أدران الخطية ولكنهم رغم هذه الانذارات المتعددة كانوا يزدادون طغيانا ووقاحة ولا يكترثن بمخافة الله فلم يسمعوا لانذاراته ولم يعملوا لخلاص نفوسهم. كان هذا البابا عندما يرى شعبه يزداد طغيانا يحزن كثيراً ويتنهد من عمق قلبه ويشتهى الموت لنفسه حتى أثار الشيطان على هذا الشعب الملتوى أميرا من امراء المملكة العظام يدعى الامير جمال الدين وكان يقوم بقتل الكثيرن من الناس وينهب أموالهم فطلب من الشعب المسيحى مالا يقدرون على القيام به وكان هذا البابا لا يتأخر عن الدفاع عن شعبه ولكنه كان لا يندفع بل كان يطلب أن يجد عليه علة ليقتله بها وتنفيذا لمؤامرته أرسل رسلا خفية إلى أرض الحجاز واليمن ليقدموا عرايض ضد هذا البابا يدعون عليه فيها أن البطريرك يرسل فى كل وقت رسله إلى بلاد الحبشة ليحث ملكها على تخريب مكة وما فيها.

ولما علم البابا متاؤس بالروح ان العرائض كتبت ضده فقام قبل وصولها لمصر وصلى إلى الله سبحانه وتعالى واستعان كعادته بشفاعة السيدة العذراء مريم والدة الاله كى تأخذ نفسه اليها بغير سفك دم حتى لا ينال شعبه فى أثره شدة ولا صعوبة فسمعت العذراء القديسة طلبته وأصيب البابا بحمى صعبة انطرح بسببها مريضا ضعيفا. (كتاب ١٥ ص ٢٩٣"أ" و٢٩٤ وفوه ١٧٧"أ").

ولما اتصل خبر مرض البابا بالامير الذى كان يروم قتله سكن غيظه قليلا عنه ولكنه لم يترك الشعب فى راحة بل صار يرسل رسله يهددون البابا ويتوعدونه من اجل شعبه إلى ان حملوا إليه من مال البابا نحو خمسماية ألف درهم وقدموها له لعله يطيب قلبه ويكف عن تهديد البابا متاؤس. فلم يرتدع هذا العاتى الجبار ولم يكف عن تهديد هذا الآب إلى الساعة التى قارب فيها من الموت فأرسل إليه رسلا ليحملوه وياتوا به اليه. فما كان من البابا الا ان طيب خاطرهم وسألهم ان يتمهلوا عليه إلى غد وهو يوم الاحد لعله يستريح قليلا ويقوى على حمل مشاق الانتقال فيأتون اليه ويحملونه إلى حيث يريدون. وكان يخاطبهم بهدوء وهو يعلم ان ساعته قد قربت ليخرج من هذا العالم ويستريح من جور ذلك الامير وظلمه. ومضى الرسل كما قال لهم. (كتاب ١٥ تاريخ ٢٩٤ وفوه ١٧٨).

٣٣. انتقال البابا متاؤس الأول من هذا العالم

لما حضر الرسل فى الغد بعد الاحد وجدوا ان البابا متاؤس قد اسلم الروح فى الهجعة الاولى من ليلة الاثنين قبل حضورهم بمهلة قليلة. فلما عاينوا ما كان بهتوا وتعجب ذلك الامير الطاغى بالاكثر ورأى ان الله سبحانه وتعالى لم يشأ ان يسلم هذا القديس لأيديه وخلصه من ظلمه بغير سفك دم كما كان عازما على ذلك فى ضميره ولكن الله العادل فى أحكامه لم يمهل هذا الامير بل سلط عليه من سعى به عند الملك فقبض عليه وعاقبه وعصره واخذ منه عوضا عن القدر الذى اخذه من هذا الآب اضعافا كثيرة ثم لا برح الامير الباغى فى الضرب والعقوبة حتى مات شر ميته (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٤"أ" وفوه ١٧٨"أ").

٣٤. وصيته قبل وفاته

مات البابا متاؤس الأول موت القديسين الابرار وقبل وفاته دعا تلاميذه وأولاده الروحيين وأبناءه المختارين وأعلمهم بقرب ساعة انتقاله ثم أرسلهم فى تلك الساعة وأحضروا له جميع ما يحتاج اليه لتكفينه من ثياب وبرانس وهى عبارة عن ثوبين وبرنسين واسكيمين وقلنسوتين وشيرين وبلينين حتى التابوت فقد أشار عليهم بعمله ثم أوصاهم اذا أدرجوه ووضعوه فى ذلك التابوت أن لا يكشفوا وجهه وقت التجنيز بالكلية كعادة البطاركة ولا يمكنوا أحداً أن يقبل قدميه الميتة بل يتركوه ملفوفا فى أكفانه الصوف ولا يخرجوه عن سيرة الرهبان قط ويدفنونه كراهب حقير متواضع القلب وأكد عليهم أن لا يدفنوه إلا بين أولاده المضجعين

داخل دير الخندق. ثم بعدما أوصاهم بهذا باركهم ووعدهم ثم أمرهم أن يغطوه بوزرته ويتركوه وحده. وهكذا فى الساعة التى غطوه فيها اسلم الروح فى الهجعة الأولى من ليلة الاثنين خامس شهر طوبة سنة ١١٢٥ش الموافق ٣١ ديسمبر سنة ١٤٠٨م وكان عمره يومئذ ما ينوف عن سبعين سنة قضى منها اربعين سنة راهبا ناسكا مجاهدا وثلاثين سنة وخمس شهور وستة ايام بطريركا (كتاب ١٥ تاريخ وفوه ص ١٧٩"أ" و ١٨٠).

٣٥. الاحتفال بجنازته

ثم اجتمع فى تجنيزه فى ذلك اليوم الكهنة والشمامسة والأراخنة وكل طوايف النصرانية حتى طوايف اليهود وغيرهم خلق لا يعد ولا يحصى وكان فى ذلك اليوم حزن وبكاء وعويل لم يحدث مثله حتى ان عمد وحجارة البيع كادت تبكى على مفارقته لانه من الذى لا يبكيه وهو مطروح أمامه فى تابوته وصليبه فى يده. فكان قوم يبكون على ما عدموه من حسن منظره وهيبته ووقاره وآخرون يبكون على ما فقدوه من كهنوته وآدابه واحتشامه وغيرهم يبكون على ما عدموه من محبته وصدقته وافتقاده وآخرون يبكون على ما فقدوه من طول اناته وصبره واحتماله والبعض يبكون على فقدهم من كان يخرج الشياطين ويشفى المرضى ويعول المساكين ويقيم الموتى وهكذا كان الجميع ينوحون ويبكون على فراقه لهم إلى أن كملوا تجنيزه كما يقضى به الواجب ثم بعد الصلاة حملوا تابوته بالاكرام والتبجيل والوقار حتى كان حمله فى ذلك اليوم على رؤوس الشعب كمثل حمل تابوت العهد الذى كان يحمله بنو اسرائيل فى ذلك الزمان لخلاصهم من يد أعدائهم كذلك كان حمل تابوت هذا البار القديس والأب الرحوم الحنون لأنه أين هذا الرجل القوى الذى كان يستطيع أن يصل ويحمل ذلك التابوت من كثرة الخلق المحيطين به والمزدحمين عليه.

وكانت الأجناد والعساكر أمام التابوت تحجبه إلى أن مضوا إلى دير الخندق حيث دفنوه فى الموضع الذى اختاره لدفنه فيه. (كتاب ١٥ تاريخ ٢٩٤"أ" و٢٩٥ فوه ١٨٠) مازال جسده مدفونا بمقبرته أسفل كنيسة القديس الأنبا رويس الأثرية.

٣٦. العجايب التى أظهرها بعد دفنه

ثم بعدما دفنوه أظهر الله منه للمؤمنين آيات وعجايب كثيرة كانت بعد انتقاله أكثر مما كانت فى حياته ففى الليلة التى تتيح فيها هذا البابا اضطربت أجساد

أخوته البطاركة القديسين الراقدين بدير القديس أبى مقار وقد حدث ان رهبان الدير سمعوا مع اضطراب الأجساد صوت البواب يدعوهم قايلا:"قوموا اخرجوا وافتحوا الباب فإن البابا متى حضر وهو قايم يقرع الباب" فلما خرج الاخوة وفتحوا الباب لم يجدوا أحدا فتعجبوا وصاروا لا يعلمون حقيقة الامر إلى أن وفاهم المخبر من مصر ان هذا البابا تنيح فى الليلة التى عبر عليهم فيها لأجل أخوته البطاركة القديسين حتى تباركت الارواح الطاهرة من بعضها ثم اضطربت تلك الأجساد فى تلك الساعة لعلمها بأن المسكونة فقدت فى ذلك اليوم معلماً عظيماً قديساً وديعاً فحصل خوف كبير واضطراب جسيم بينها حتى ان القنديل الذى يقاد لهم وقع على الأرض وانطفأ ولم يتكسر وهذه هى المرة الأولى التى ترآى فيها هذا البابا القديس بعد انتقاله. (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٥"أ" و٢٩٦وفوه ص ١٨٠"أ" و ١٨١).

أما المرة الثانية فانه بعد أربعين يوماً ترآى لثلاثة رجال غرباء مجروحين دخلوا دير الخندق وباتوا وقاموا باكر يوم الأحد سحرا جدا قبل شروق الشمس فوجدوا هذا الأب قايما مرتديا برنسا ابيضا وهو ماشى يطوف بين الأموات فى الليل مثلما كان يمشى ويطوف بينهم فى النهار قبل الوفاة فلما رآه اولئك الرجال ولم يعرفوه خافوا وسقطوا على وجوههم وقد اقامهم من سقطتهم تلاميذ المتنيح البابا متاؤس فعرفوهم ما أبصروا ثم علموا منهم انه القديس متاؤس البطريرك فتعجبوا وطلبوا اليهم أن يمضوا بهم إلى محل دفنه وتباركوا منه (كتاب ١٥ تاريخ ص٢٩٦).

وأما المرة الثالثة فانه تنبأ لتلاميذه قبل انتقاله ان البابا غبريال يكون البطريرك بعده. وكان بعض الشعب لا يصدق حتى ترآى لهم البابا متاؤس المتنيح فى اليوم الذى دعوا فيه البابا غبريال ليكرزوه قمصاً حينما كان الشعب مجتمعاً فى المعلقة واذا بواحد من الشيوخ القديسين المجتمعين فى ذلك اليوم أبصر هذا البابا بالروح قايما على جناح المذبح وهو يضع يده مع ايدى الأباء الاساقفة على رأس البابا غبريال. فلما نظر الشيخ ذلك تعجب وقصد أن يتبارك منه قبل أن يختفى عنه فباركه وودعه قايلا:"اذكرنى ياأخى فانى ماضى مع البابا غبريال إلى الاسكندرية وهكذا مضى هذا القديس بالروح مع البابا غبريال ولم ينظره غير كاهن اسمه يوحنا كان أخرسا يومئذ وكان هذا الكاهن قايما مع الجماعات

للحضور إلى الاسكندرية فنظر أمامه فرأى القديس متاؤس يقول له:"منذ الآن ياهذا لا تكون أخرسا بل قم من عند الله وتكلم وعرّف الجماعات انى حضرت فى جماعة القديسين لاشاهد تكريس البابا غبريال بالاسكندرية" ولما تنبه الكاهن الأخرس وجد لسانه قد انطلق وتكلم كما ذكر للجماعات ما كلمه به البابا المتنيح القديس متاؤس وتعجب الكاهن كما تعجب السامعين بالأكثر وصار كثير من الناس لا يصدقون انه ذلك الكاهن الأخرس حتى اتوا ورأوه وسمعوا منه وكان كل من سمع يمجد الله على المواهب العالية التى افاضها الله على هذا البابا القديس فى حياته وبعد انتقاله(كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٦ وفوه ص١٨١).

وقد حصلت منه عجايب كثيرة وعمل أيات معجزة لو شرحناها واحدة واحدة لا يسع لذكرها كتاب ولكن حان الوقت لاختتام هذه السيرة بذكر أولاده الشهداء لانه كم من نفوس اشتراها للرب هذا البابا القديس فى حياته كما لا يخفى على أحد ما حدث من الجهاد عن نفوس أولاده الشهداء والمستشهدين فى زمانه وكان رحمه الله يوصى دايما بذكر تذكارات هؤلاء الابرار (كتاب ١٥ تاريخ ص ٢٩٦"أ" وفوه ص ١٨١"أ").

٣٧.اسماء الشهداء القديسين الذين استشهدوا فى عهد البابا متاؤس الأول

قد سفكت دماء تسعة واربعين شهيداً فى عهد البابا متاؤس الأول وقد حفظت اسماؤهم لاحياء ذكراهم الطاهرة ولا ننساهم بل نداوم على تذكارهم وهذه أسماؤهم

ان الأول منهم هو القديس يعقوب أبو مقيطف وهو أول المستشهدين فى زمانه.

ومن بعده بناته الراهبات الثلاثة الشجيعات بالحقيقة اللاتى لما قدمن للسيف هللن وفرحن مزغردات كما تتهلل النسوة فى أعراسهن وافراحهن.

ومن بعدهن القديس رزق الله تلميذه ومن بعده القديس ايليا من أهل درنكه ومن بعده القديس القس سدراك والقديس فضل الله ورفيقهما المختار القديس داود البنا الذين اتوا الثلاثة من جبل القديس أنطونيوس.

ومن بعدهم رفقاؤهم الرهبان الثلاثة. القديس بركة المدعو جرجس وأخواه بالرب القديسان جرجس وجرجس اللذان اتيا فى أثره من ذلك الجبل أيضا.

ومن بعدهم القديس أرسانيوس الحبشى وذكر اسمه فى نسخة أخرى ارشيليدس الحبشى الذى أتى من جبل قسقام. والقس قزمان الخراز الذى من القلندول. ومن بعده القس أبو الفرج الذى من غرب قموله.

ومن بعده القس روفائيل الذى من البحيرة. والقس يوحنا الذى من أهل طوخ. والقديس القس الذى من الفرنج وقد سمروه حرقوه حيا بظاهر الاسكندرية. والقديس القس هبة الله الكاتب الذى سفكوا دمه ظلما بظاهر ذلك الثغر أيضاً.

ثم الرهبان المجاهدون الفرنج الأربعة الذين تغربوا عن بلادهم حضروا للزيارة إلى بيت المقدس فسفكوا دماءهم واعترفوا الاعتراف الحسن وقطعت اجسادهم قطعا بالسيف بظاهر المدينة المقدسة اورشليم. ومن بعده القديس الراهب موسى الذى من الجيوش ورفقته الجيوش الستة الذين سفكت دماءهم ظلما فى الطريق النازلة من غزة إلى اورشليم. ثم القديس البكر الطاهر حديد الذى من الجيزة هذا الذى سألوه أن يتبع جدء فانتهرهم قائلا:"عجّلوا بقتلى ياهؤلاء فانه ليس لى أب ولا ام ولا جد سوى المسيح وحده".

والشابان المجاهدان بمصر القديس نصر الله والقديس أبو اسحق الذى من أولاد القبط.

والقديسان يعقوب ويوحنا من أهل سنباط. والقديس بولس من منية بنى خصيب.

والقديس فريج الذى من طنان ورفيقه القديس ميخائيل والد الطوبانى رويس. والقديس يعقوب القس الذى اخرجه الامير يلبغا السالمى عن أمانة المسيح وهرب عند المساء واعترف فى الصباح بالسيد المسيح.

والقديس منصور بن بطرس ورفيقه داود الامنوت اللذان سعى بهما ابراهيم الراهب السريانى واحضرهما من البرية كى يخرجهما عن الايمان فلم يخرجا بل صبرا وجاهدا وغليا مقاوميهما ونالا اكليل الشهادة ثم ندم بعدهما ابراهيم السريانى وعاد وآمن وأخذ الشهادة مثلهما وصار ثالثهما.

ثم الشاب المجاهد القديس ماماديوس المدعو ميخائيل (ويظهر انه كان مسلما وتنصر) وقد كان الحكام كلما عاقبوه وقالوا له ما اسمك يقول لهم:"أما اسمى الأول فهو ماماديوس الذى سميت به من بيت أبى أما اسمى الآن الذى أموت عليه وأحيا

به فهو ميخائيل ولم يبرح ثابتا على هذا بقوة عظيمة إلى أن مات بحد السيف على اسمه القدوس.

ومن بعده القديس عيسى الذى من الارمن. والقديس أبو الفرج البنا الذى من نواحى المقس. والقديس غبريال الذى من أهل هو. القديس ابراهيم الذى من نواحى شبرا. والقديس يعقوب الذى من المناوات. والقديس جرجس الشهير بابن الراهبة هذا الذى بسفك دمه طهّره الله من خطاياه الاولى التى صنعها على الارض. وصار خاتم الشهداء الذين استشهدوا فى زمان هذا الاب لانه بعد سفك دمه طلب البابا متاؤس من السيد المسيح أن لا يعود ينظر دما آخر يهرق على الارض من أجل المؤامرات الرديئة التى تآمر عليه بها ذلك الأمير (الأمير جمال الدين) وعلى جماعة شعبه وهكذا سمع الرب لهذا البابا ولم يُريه هلاك شعبه وأخذ نفسه اليه وصار موته اعجوبة لمن أبصره كما سبق ايضاحه.

نعم طوباك بالحقيقة أيها الاب البطريرك لانك حسنا طلبت الموت وبموتك أطفأ الرب غضب التنين القاتل الذى كان يريد قتلك وقتل شعبك أغنام رعيتك. نعم أيها الاب حسنا طلبت الموت وكان موتك كالحكم المكتوب الذى حكم به احبار اليهود على سيدك قايلين:"انه خير لنا أن يموت رجل واحد عن الشعب من أن تهلك الأمة كلها" نعم أيها الآب حسنا طلبت الموت ولم تدفن فى أرض غريبة بل دفنت بالأرض التى دفن فيها الاباء والاخوة والجدود.

ولهذا ياأيها السيد الاب لقد أحببت رقادك فى هذا الموضع المقدس بين أولادك المباركين المساكين وهكذا نسألك نحن المجتمعين فى هذه البيعة أن تذكرنا جميعنا وأن نعيّد لتذكارك الصالح.

يارئيس الكهنة التى كانت صعائده ومحرقاته دائما صاعدة أمام كرسى الله فى كل حين وها هو ذا صعائدك إلى الآن لم تبطل من قبل تذكارك الصالح.

من هو الذى يسمع بالصعائد والمحرقات التى كنت تقدمها أمام الرب وما يقدمون قرابينهم فى يوم تذكارك فرحين من أجلك كى تقدمها عنهم غفرانا لخطاياهم ومحوا لذنوبهم. نعم يأأبى من ذا الذى سمع بالصدقات والمراحم التى كنت تصنعها مع المساكين على الأض ولا يقدمون يوم تذكارك قرابينهم فرحين من اجلك لكى تقدمها عنهم غفرانا لخطاياهم ومحواً لذنوبهم. نعم يأأبى من ذا الذى

بيتنع بالصدقات والمراحم التى كنت تصنعها مـــع المســاكين علـــى الأرض ولا يقدمون اليوم صدقاتهم مسرورين من أجلك.

نعم ياسيدى الآب طوبي لمن يصنع رحمة فى يوم تذكارك طوبى لمن يدعـو المساكين والجياع يأكلون ويشبعون فى وليمتك. طوبى لمن ينصت بايمان لما يتلى عليه من شرح سيرتك ويكتب بذلك تذكاراً لبنيه من بعده كى تصير بركتـك فـى بيته إلى الدهر كما هو مكتوب ان الذى يكتب أخبارك وقصص القديسين يكتب الله اسمه مع القديسين.

كما نطلب ونسأل أبوتك اليوم أن تسأل الرب عنا وأن تجعل نصيبنا معك فى الفردوس لكى نبارك ونمجد اسم ربنا يسوع المسيح هذا الذى ينبغى لـــه المجـد والاكرام والسجود والوقار مع ابيه الصالح والروح القدس المحى. الآن وكل أوان والى دهر الداهرين آمين.

والسبح لله دايما ابداً سرمداً.

بسم الآب والابن والروح القدس

٣٨ ــ مرثية

من شرح الابوغالمسيس فان هذا الآب متاؤس الأول

كان يحب معانى أقواله فى حياته وإلى يوم انتقاله الذى هو

الخامس من شهر طوبة سنة ١١٢٥ش يرحمنا الله بصلواته

امين

هلم الينا اليوم يايوحنا يابن الرعد الانجيلى حبيب ربنا يسوع المسيح وجـدد لنا صوت نحيبك الحلو القايل ضرب الراعى فتبددت الخراف. تعالى يايوحنا وادع أم معلمك لتأتى وتعزينا على فقد ابنها الجديد وحبيبها اعنى ابينا البطريرك أنبـــا متاؤس.

وتعالى يايوحنا وابكى معنا اليوم على الأب والمعلم الحكيم الذى مـــا كـــان يمسك ذاته عن البكاء عندما يقرأ نص ما شاهده من الآلام عن معلمه لأن يايوحنـا مَن ذا الذى بقى يفسر لنا أقوالك. مَن ينسى منا ايضاح انجيلك وشـــهاداتك. مـــن يشرح لنا الكلمة المقولة: يابنى أنا معكم زمنا يسيراً. سيروا فى النور مادام لكـــم النور لئلا يدرككم الظلام. من يعلن لنا القول القايل: قليـــلا ترونـنـــى وقليـــلا لا

ترونني. من يبرهن لنا الكلمة المقولة: ستأتى ساعة وقد أتت الآن ويتفرق فيها كل انسان منكم إلى مكانه وتتركونى وحدى.

من يوضح لنا المكتوب: هكذا نفسى حزينة حتى الموت قوموا الآن يـالخوتى واسهروا معى. نعم يايوحنا من يعلن لنا هذه الأقوال كلها. ويصور صـورة الآلام نصب الكل كما صورها هذا الأب نصب عيوننا. من ينظر بعينى عقله مريم وهى قايمة تحت الصليب تبكى. من ذا الذى لا يبكى لسماع ذلك الصوت القايل:يايوحنا خذ أمى إلى منزلك. كما كان هذاالآب ينوح ويبكى.

ومن يتأمل تواضع سيدك وهو قايم بين أجناد قيافا. من يتذكر صياح اليـهود وهم يصيحون على بيلاطس الوالى قائلين: اصلبه اصلبه. من ينظر خزى البصاق والجلد والسياط واللطم الذى وقع على معلمك فى ذلك اليوم من يتفرس فى تواضع سيدك وهو حامل خشبة صليبه إلى الاقرانيون. من ينظر فى أمر الظلـم الـذى صنعوه بمعلمك فى أسواق أورشليم. من يتأمل أثار الصليـب والمسـامير التـى سمرت بها تلك اليدان المقدستان. من لا يحترق حزنا على مذاق الخل والمـرارة التى سقوهما لمعلمك على الصليب. من لا يتنهد بوجع قلب فى الطعنة التى طعـن بها ذلك الجنب الالهى كما كان هذا الأب يتنهد لذلك جميعه ويبكى. من لا يحـزن مع يوسف ونيقوديموس على الغير مائت الذى تألم وذاق الموت من أجلنا.

من هو الذى يحافظ على جسده ودمه ياالهى كما كان هذا الاب يحترس فـى خدمة السراير المقدسة. من ذا الذى ينظر ابن الله قايما على المذبح ولا يخاف منه لئلا يطلب منه دم الكهنة المتهاونين بخدمة المذبح كما كان هذا الأب يخاف علـى طرد الكهنة المتهاونين بتلك الخدمة. وعلى الجملة ياأبى يوحنا من ينظر فى حـال الاسرار الكائنة منذ البدء ويحذرنا من الضربات المكتوبة فى الابوغالمسيس الـذى لك كما كان هذا الآب يخشى علينا من الوقوع فيها.

نعم يايوحنا تعالى وأنظر تمام النبوات كيف تمت وانتهت إلينا. تعالى وأنظـر تمام الضربات كيف تمت وبلغت سهامها فى عمق قلوبنا واعصابنا. تعالى وجيلنـا هذا كيف سادت عليه المملكة الغريبة واستعبدنا فيه اعداؤنا ومبغضونـا. تعـالى وانظر جيلنا هذا كيف قلب الملاك السابع جامته عليه فقتل بالظلم والقهر راعينـا ومدبرنا. تعالى وانظر جيلنا هذا كيف انقطعت فيها قلوب الابـاء علـى الأبنـاء وقلوب الابناء على الاباء. تعالى وانظر جيلنا هذا كيف اشتهينا فيه الموت لأنفسنا

فلم نجده وغيرنا بين الاموات حسدناهم هم الذين رقدوا واستراحوا. تعالى وانظر جيلنا هذا كيف اعطينا فيه الطوبى للبطون التى لم تحمل والعواقر التى لم تلد. تعالى وانظر جيلنا هذا كيف سكرت فيه مصر الزانية بخمرة زناها وافرغت من سم ذلك الكأس. شربت بالظلم دم ابائنا واخوتنا واجدادنا.

لكى لا أطيل الكلام ياأبى يوحنا عن الحزن الموضوع لنا فى هذا الجيل ولا أدع موضعا لكلام الفرح هذا الذى تقدمت انت واخبرتنا عن عبيد الله المقتولين والمأمولين والفرح المعد لهم هناك حيث الكرسى العالى الذى لضابط الكل والأربعة وعشرون شيخا الجلوس على الكراسى. هؤلاء الذين أنا أصرخ إليك من أجلهم قايلا: نعم ياأبى يوحنا من يمضى بى اليوم إلى المدينة العالية التى فى السموات لأشاهد أبى متى فى مجد الآب وابشر أمامه بأصوات الفرح قايلا: بالحقيقة ياأبى البطريرك قد استحقيت اليوم كرامة عظيمة. وإذا عاينت الأربعة والعشرين قسيسا الجلوس على الكراسى قد حملوا صلواتك فى مجامرهم وقدموها أمام الضابط الكل وعاينت الأربعة حيوانات الحاملين كرسى الله وهم يشيرون إليك بناظرهم الكثير الأعين أن تتقدم وتسجد أمام الجالس على الكرسى. وسمعت الجالس على الكرسى يقول لك: مرحبا بقدومك أيها الراعى الصالح أمينا وجدت فى القليل أمينا أنا أقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك. نعم بالحقيقة ياأبى البطريرك قد استحقيت اليوم كرامة عظيمة إذ عاينت المشتملة بالطهر والدة الاله العذراء هذه التى كانت نفسك فى كل حين تشتاق إلى معاينة مجدها اعنى المرأة البتول التى عاينها يوحنا حبيبك وهى ملتحفة بالشمس والقمر تحت رجليها واثنى عشر كوكبا شبه اكليل على رأسها وهى حبلى تطلق لتلد. نعم بالحقيقة ياأبى البطريرك اليوم عاينت عيناك تلك الطوبانية بالحقيقة وهى تمسح دموع عينيك بكفيها قائلة مرحبا بقدومك ياأبنى وحبيبى بالرب الذى ما خرج عن أوامرى قط.

تعالى وافرح معى لأن هذا اليوم الذى ينبغى أن نفرح فيه عوضا عن أحزانك ودموعك التى كنت تسكبها فى كل يوم امامى. تعالى واتكئ معى لأن هذا هو اليوم الذى تستريح فيه عوضا عن الولايم والأعياد التى كنت تتعب وتجمع فيها المساكين باسمى. تعالى وافرح معى أنا مريم أم يسوع التى كنت تشتهى دايما أن تنظرنى فى ملكوت ابنى. أنا مريم أم يسوع التى أحبتك منذ طفوليتك كما أحببتنى. أنا مريم أم يسوع التى لم تنس سهرك ووقوفك الليل كله أمامى. أنا مريم أم يسوع

التى أكملت لك طلبتك وأعطيتك كل ما سألتنى. أنا مريم أم يسوع التى كنت أظهر لك وأعزيك حين يحزنك المعاندون لى. أنا مريم أم يسوع التى خرجت اليوم للقائك من أجل محبتك وكرامتك لى. أنا مريم أم يسوع التى كنت معك كل أيام حياتك وإلى يوم إنتقالك. هذا اليوم الذى لم أدع انسانا يدعوك فيه.

بل هوذا رئيس الملايكة ميخائيل الذى كنت تعيّد له وتكرمه فى كل اثنى عشر يوما من الشهر هو الذى أرسل لكرامتك. هوذا رئيس الملايكة الطاهر ميخائيل الذى كنت تهتم بصنع تذكاره على الأرض هو الذى آهتم بخروج نفسك من الجسد وصعودها إلى السموات لتعاين المساكن العلوية التى فى حصون الآب وتشاهد الطغمات المتجسدة والغير متجسدة ولاسيما بالأكثر المائة ألف وأربعة وأربعين ألف عبيد الله المختومين على جباههم. هؤلاء الذين كانت نفسك فى كل حين تشتاق أن تنظر إلى عظم مجدهم وكثرة أعدادهم.

وهوذا قد تم فرحك اليوم وعاينت مثل أولئك الأسباط العظماء الاسرائيليين وهم سبط يهوذا يخاطب سبط جاد وسبط جاد يخاطب سبط نفتالى وسبط نفتالى يخاطب سبط شمعون وسبط شمعون يخاطب بقي الأسباط الإثنى عشر قايل: أن هذا هو متى البطريرك السابع والثمانون الذى غسل حلته فى أثرنا ونقاها بدم الحمل وأستحق اليوم القيام فى تسبحة السمائيين يصيح بصوت التسبيح الذى أخذه عنا على الأرض قائلا: الخلاص للرب. نعم بالحقيقة ياأبى البطريرك اليوم استحقيت هذه المشاركة فى تسبحة السمائيين وسمعت الطغمات والطقس العلوية وهم يصرخون معك قائلين: الخلاص للرب. نعم ياسيدى الأب اليوم نفرح معك بالاكثر ويصرخ بهذا الصوت يوحنا بن زكريا ويهنيك بنظر حمل الله حامل خطايا العالم. وعاينت أيضا هو يُمنيك بنظر نسيبه هذا يوحنا قايلا:"ان هذا هو يوحنا بن زكريا الذى كنت أنا اشهد عنه دايما انه لم يقم فى مواليد النساء أعظم منه:. وهو يمنيك بنظر الابن الذى لا يستطيع الشاروبيم والسارافيم النظر اليه. وعاينت الابن المولود من مريم العذراء وهو يمنيك بنظر المولود من اليصابات الذى إمتلأ من روح القدس وهو فى بطن امه. وهو يمنيك بنظر أبيه زكريا الذى قتل بين الهيكل والمذبح. وعاينته وهو يدعو سمعان الكاهن الشيخ العتيق الايام. ليأتوا ويفرحوا معك اليوم ياكاهن الحق الذى استحق اليوم أن يعاين عتيق الأيام وعاينت أيضا

عتيق الأيام وهو يدعو الابناء الجدد الذين انتخبهم. اعنى اخوتك الرسل الاثنى عشر ليأتوا ويفرحوا معك فى تلك الوليمة الحقيقية.

نعم ياأبى حضر الصفا سمعان بطرس الراعى المألوم الذى مات قهراً عن خرافه. حضر البشير الانجيلى متى ليقبل فم متى أخيه الذى جدد بالفرح ذكر اسمه على الأرض وملأ المكان من صوت كرازته وتعاليمه. حضر البشير والانجيلى مرقس ليقبل رأس المجاهد والقوى الذى جاهد عن كرسيه بمصر كما جاهد هو عن كرسيه فى الاسكندرية. حضر البشير والانجيلى لوقا المتطبب ليقبل اليدان اللتان كانتا تعالجان المرض ويفرح بالانسان الجديد الذى اقتفى آثار حكمته منذ كان طفلا فى بيت أبيه. حضر البشير والانجيلى يوحنا ليعانق أخاه بالرب قايلا: مرحبا بقدومك ياأخى وحبيبى الذى ما كان ينسى أوجاعى يوما قط ولا تنهدى ولا بكائى تحت الصليب اشفاقا على معلمى.

وعلى الجملة ياأبى حضر الأباء ورؤساء البطاركة. حضر الأساقفة ذات المجامع المقدسة ليجلسونك على الكرسى البطريركى الذى أعده لك ضابط الكل حيث أخوتك البطاركة الستة والثمانين هؤلاء أنا أصرخ إليك من أجلهم قايلا:نعم يامعلم من يمضى بى اليوم إلى أورشليم السمائية مدينة القديسين لأشاهدك وأنت جالس تتحدث فيما بين المعلمين الفاضلين يوحنا فم الذهب بطريرك القسطنطينية وأثناسيوس الرسولى بطريرك الاسكندرية وأنت جالس تتحدث معهما بعظايم الله التى كانت فى أيامك والمعونة التى لحقتك إلى حين انتقالك يارئيس الكهنة الذى فرح من قبله اليوم رؤساء الحديثة ورؤساء العتيقة أيضا ياملشيصادق الجديد الذى أخذ الكهنوت من يد الرب فى الهيكل كما أخذها ذاك من قبل واستحقيت أن تكون الكاهن على طقس ملشيصادق إلى الأبد.

نعم ياأبى البطريرك اليوم يفرح معك ذلك الكاهن بالحقيقة ويفرح معك بالأكثر داود بن يسى المزمر ويضرب أمامك بقيثارة ذى العشرة أوتار من المزمور المايةواحد وخمسين قايلا: صغيرا كنت فى اخوتى حدثا فى بيت أبى راعيا غنمه. نعم بالحقيقة ياسيدى الأب يفرح معك موسى رئيس الانبياء ويدعو هارون وابنه فينحاس ليفرحوا من أجلك يارئيس الكهنة الذى حفظ لوحى العهد والعشرة كلمات المكتوبة باصبع الله هؤلاء الذي تفسيرهم لا تقتل ولا تزن ولا تسرق ولا تشهد بالزور. ولا تأخذ ماليس لك ولا تشتهى إمرأة صاحبك. وما يأتى

بعد ذلك من بقية الوصايا العشرة هؤلاء الذين حفظتهم منذ طفولتك واستحقيت من أجل حفظها أن ترسم لهذه الخدمة أى خدمة قدس الأقداس وتدخل اليوم إلى القبة الأولى التى فى السموات لتلبس الحلة الكهنوتية والرجاء والطيلسان لتقدس هناك حيث حجاب الآب وتعاين جماعة بيت الرب قياما يخدمون معك كالموضوع عنهم هكذا نعم ياأبى اليوم يقدس معك فى السموات استفانوس أول الشمامسة ويدعو اخوته الاحباء الرسل بولس ويعقوب ويوحنا ليقرأوا أمامك الفصول المنسوبة اليهم فى القداس اللايقة بتلك الخدمة. وسيدنا يسوع المسيح له المجد يتلو انجيله المكتوب من أجلك قايلاً: أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن خرافه. والالوف الالوف وربوات ربوات من الملايكة يحضرون قياما حولك ليظللوا عليك حيث المائدة المقدسة المنصوبة أمامك وخبز التقدمة الموضوع أمامك يعطيك صوته قايلا أنا هو خبز الحياة النازل من السماء وكل من يأكل من هذا الخبز ويشرب من هذا الكأس يحيا إلى الأبد لأن هذا جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق وكل من يأكل جسدى ويشرب دمى لا يذوق الموت إلى الأبد. نعم ياسيدى الآب اليوم تأكل من ذلك الخبز وتشرب من ذلك الكأس وطوباهم الذين يأكلون من ذلك الخبز ويشربون من ذلك الكأس أولادك المستشهدين فى زمانك وآباءك القديسين الذين بشروك بهذا من قبل انتقالك هؤلاء الذين قد تم فرحهم اليوم بما يتناولونه منك. ولاسيما يفرح بالأكثر معك اليوم الطوبانى مرقس بن انطونيوس هذا الذى سبق وبشرك بهذا بأن تكون بطريركاً وحقق لك أن يكون لك اكليل فى البطريركية مثل اكليل الشهادة.

هكذا قد تم فرحه اليوم اذ عاينت عيناه تمام نبوته الصادقة وانت قايم حامل ذلك الاكليل أمام كرسى المسيح. نعم ياأبى اليوم يفرح ذلك الشيخ من أجلك ويفرح معه بالأكثر الطوبانى رويس العريان. هذا الذى سبق وبشرك بهذا الانتقال من قبل انتقالك بخمسة عشر سنة عندما وقف أمامك وصرخ قايلا: هوذا ملاك الرب نزل من السماء وأخذ نفس متى ثم أصعدها مع نفوس أولاده الشهداء إلى العلا. نعم ياأبى البطريرك بهذا ومثله كان الطوبانى رويس يبشر من أجلك حتى أنه من زايد مسرته بك أخذ قلماً وقرطاساً ودفعه لى أن أكتب بما يكون قبل انتقالك قايلا: طوبى لمن يكتب سيرة متى وطوبى للذين يحملونها من البلاد القريبة إلى البلاد البعيدة وهذا ياسيدى الآب الذى دعانى الشوق والطاعة حتى كتبت بما كان معك

قبل انتقالك ليس لطلب المديح من الناس بل لما أشار به الروح القدس على لسان تلك العريان هذا الذى شدد ذراعى مثل قوس النحاس وقوى نطق لسانى كى اتكلم على فضائلك يارئيس الكهنة وفضائل أولادك الشهداء المستشهدين فى زمانك منفعة ربحا للسامعين.

بسلام من الرب امين

قد تمت المرثية العظيم الفائدة، الجليلة المعنى المرثية التى كتبها كاتب السيرة فى النسخة المحفوظة فى مكتبة كنيسة السيدة العذراء الأثرية بحارة زويله والمدونة فى كتاب الميامر التى تقرأ فى شهر طوبه المبارك وتاريخ كتابتها آخر شهر طوبه سنة ١٢٤١ش ويقول ناسخها أنها منقولة من كتاب أبينا القديس رويس المسمى فريج الوارد اسمه تكراراً مراراً فيها فلتكن بركته وبركة القديس رويس وبركة القديسين الأبرار الشهداء الذين استشهدوا فى عصرهما معنا. امين.

تاريخ الشيخ القديس مرقس الانطونى

من أشهر الرجال القديسين فى أيام البابا القديس متاؤس الأول البطريرك ٨٧ كان القديس الشيخ العظيم مرقس الأنطونى:

فقد كان هذا الطوبانى من صعيد مصر من أهل منشأة النصارى وكان اسم أبيه المبارك مخلوف واسم أمه المباركة دسكنة. وكانا لما رُزقا من الله بهذا الطفل سمياه مرقس وبياه التربية الحسنة كعادة الاطفال(٣٨).

فلما نشأ الطفل وكبر وصار له من العمر خمس سنوات أخذته أمه وسارت به إلى البيعة.

وفيما كانت سائرة به قابلها شيخ قديس اسمه أنبا ساويرس اسقف مدينة أسيوط فحمل الطفل على ذراعيه وأخذ يسأله عن اسمه فلما أجابه الطفل ان اسمه مرقس حينئذ تنبأ له ذلك الآب الاسقف قائلا:"بالحقيقة أقول لك يابنى انك تصير كمرقس الأول صاحب كورة مصر" ثم باركه وتركه لامه ومضى. (٣٨"أ" و٣٩).

ففرحت والدته المباركة بتلك النبوة وأخذت تجهد نفسها فى تربيته واهتمت بأمره أكثر من قبل لان والد هذا القديس كان قد تنيح وتركه يتيما. وكانت والدته المباركة كلما أجهدت نفسها فى تربيته يشب الصبى فى الاعمال وينمو أكثر مما كان(٣٩).

وكان والد هذا القديس وجده من قبل يسيران برعاية الآب القمص الورع أنبا رفائيل النعناعى وكانا ملازمين الصوم فى كل يوم إلى التاسعة وكـــان القديـس مرقس مثل أبويه لا يفطر كل يوم إلا فى الساعة التاسعة ولا يأكل لحما البتة وهو ابن خمس سنين وكانت له فضائل عظيمة منذ طفوليته منها انـــه كـــان اذا نظـــر والدته قائمة تصلى كان يشد وسطه بزنار ولا يبرح قايما يصلى معها إلى حين ما تفرغ من الصلاة (٣٩).

وكان اذا أخذ غذاءه من عند والدته ليمضى إلى عمله يتصدق بما تعطيه لـــه والدته من الغذاء على الجياع ولا يبرح صايما إلى أن يعـــود إلـــى والدتـــه فـــى الغروب(٣٩"أ").

وقد كان فى دفعة يقوم بالتقاط المحصول مع الحصادين واذا بامرأة صـــات تأتى تسرق ما يلتقطه يوميا فلما نظرها مرقس صار يجمع كل ما يحصل عليـــه يوميا من الحصاد ويضعه لهذه المرأة فوق ما تتحصل عليه يوميا من نصيبها حتى تعجبت هذه الامرأة من رحمة هذا القديس وأخذت تبكت نفســـها بعظـــم صنيعـــه (٣٩"أ"و٤٠).

وفى دفعة هجمت عليه امرأة غير مؤمنة داخل منزله وأخذت تتوســـل اليـــه قايلة:"ارحمنى فان لى زمانا وأنا معذبة من أجلك بشهوة الخطية وانى الآن اشتهى أن تقوم وتكمل لى ما اريده منك" فما كان منه إلا أن انتهرها وطردها قائلا:"أمـــا تذهبى عنى يالمرأة إلى الشهيد مرقوريوس أبو السيفين وتتذرى له بربعتين غـــزل من عمل يديك كيما يخلصك مما انت فيه من ألم الخطية"(٤٠)

وحدث ذات مرة انه عبر على البيعة ببلدة وكان معه حمارة عليها حنطة فلما رأى الجمع قايمين فى القداس لم يحتمل أن يترك القداس ويمضى دون أن يشـــترك فيه ففتش على من يودع عنده الحمارة والحنطة فلم يجد أحداً فاخذته أمانته القويـــة بالسيد المسيح ورشم الحمارة والحنطة بعلامة الصليب لكى يحرسها الرب ودخـــل إلى البيعة وحضر القداس وتناول من الأسرار المقدسة وخرج بعد التسريح فوجـــد حمارته والحنطة لم يتعرض لها أحد فمجد اسم المسيح الذى استجاب لندائه ولـــم يخيب أمله(٤٠"أ").

وما كان قط يمضى إلى البيعة ويحضر عيد من الأعياد إلا ويطـــوى ليلتـــه بكمالها. ففى احدى أعياد القديس أنبا شنوده أب الرهبان بينما كان يطـــوى ليلتـــه

كالعادة واذا بعدو الخير قد عانده بحلم ردئ فى رؤيا الليل فقام وضرب عن ذلك الحلم ثلاثماية مطانوة ولم يقبل أن ينتصر عليه العدو ويمنع ذاته عن القربان المقدس(٤١).

وهكذا كانت والدته القديسة مداومة على الحضور إلى البيعة والتناول من الأسرار المقدسة، وكانت مع مواظبتها للبيعة لا تهئ قدر طعامها إلا بعد التاسعة، ولا تطبخ سوى الحبوب بالزيت وكان الكثيرون من جيرانها قد ألفوا عاداتها فكانوا يداومون معها على الصوم إلى التاسعة ولا يأكلون سوى طعامها لانها كانت رغم مسكنتها لا تحبس رحمتها قط عن المحتاج ولا طعامها عن الجايع. وقد أبصر القديس مرقس والدته فى مرات كثيرة اذا وقف على بابها مسكين ولم تجد معها ما تعطيه له فى تلك الساعة كانت تأخذ ما تجمعه عندها من بيض الفراخ أو قليلا من القمح وتدفعه لذلك المسكين ولا ترده خائبا. وقد تناهت هذه القديسة الطاهرة فى الرحمة حتى صار منزلها مأوى للمساكين والرهبان وكان القديس مرقس ابنها لا يكف عن خدمتها والاشتياق فى كل حين إلى سيرتها(٤٢)

فلما أكمل له من العمر ثلاث وعشرون سنة اشتاقت نفسه إلى سيرة الرهبنة فقام وودع والدته المباركة ثم مضى إلى احدى الديارات التى بالريف(٤٢) وكان الاخوة الذين يسكنون فى ذلك الدير لا يداومون على الصوم فى كل يوم إلى التاسعة فلما نظرهم هذا القديس على هذا الحال تركهم وعاد إلى والدته المباركة ليأخذ بركتها ويمضى إلى الديارات المشهود لرهبانها بحسن الجهاد والتمسك بالنسك العظيم. فلما نظرته والدته انه قد عاد اليها قامت فى الحال وخاصمته ووبخته قائلة:"أنا كنت أظن انك ياولدى قدمت وانتهيت ولم يعد لى أملا فى أن أراك فى هذا العالم لان الذى انتهى على أن يكون راهبا مات بالكلية من العالم فلماذا يابنى عدت الىّ ونسيت قول الكتاب القايل:"ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لو٩:٦٢) (٤٢"أ") فلما سمع توبيخ والدته لم يستطع الثبات أمامها بل قام بسرعة ومضى إلى برية القديس العظيم انطونيوس وشاءت العناية الالهية أن يكون القمص رفائيل النعناعى صديق العائلة مقيما هناك وقتئذ فلما نظر إلى الشاب فرح به جداً ثم أخذ فى تعليمه أياما قلائل وبعد ذلك انفذه إلى دير القديس أنبا بولا كى ينفرد هناك للعبادة لان الشاب كان بغير لحية وقد قصد القمص رفائيل أن ينفرد هناك ولا يخالط أحداً من الاخوة

البتة حتى تكمل لحيته ولا يتكلم أمامهم بالمرة فانفرد للعبادة وحفر لنفسه فى هـذا الدير قبرا بجانب البستان وصار يصوم فى ذلك القبر يومين يومين وكان عندما ضايقه العدو بالجوع فى اليوم الأول كان يصبرّ نفسه ويهديّها قايلا:"لا تقلقى يانفسى لا تحزنى لانه مكتوب هكذا "انه فى العشاء يكون البكاء وفى الصباح يكون الفرح فها انت اليوم صايمة وفى الغد ستأكلين وتفرحين" فكانت نفسه تتعزى بهذا الكلام الصالح وتقتنع به وتصبر صائمة من يوم إلى يوم (٤٣).

وقد بلغ الاب مرقس فى الصوم بالتدريج قليلا فقليلا إلى أن صار يصوم ثلاثة ثلاثة وبعدها أربعة أربعة وبعد قليل أكمل الاسبوع (٤٤).

وقد كان يعمل بعد ذلك حمالا للحطب فى برية القديس أنبا بولا وكان اخوته الرهبان يغصبونه على الأكل ليكسرا القانون الذى وضعه لنفسه فكان يحمل ما يعطونه من الزاد الخبز ويطعمه خفية عن اعينهم للجمال فى الطريق ولا يبرح طاوياً إلى كمال المدة التى حددها لنفسه (٤٤).

فاقام بدير القديس بولا ست سنوات لم يجلس فيها مع اخوته الرهبان على المائدة ولم يشاهده أحد يأكل يوما بل كان اذا أكل لا يأكل إلا منفردا واذا صام لا يعرف احد ما هو حد صيامه حتى انه من زايد الضعف والنسك الذى حصل عنده اخرجه اخوته بالقوة من دير القديس أنبا بولا وحملوه من شدة ضعفه إلى المجمع الكبير بدير أنبا أنطونيوس ثم وكلا به انسانا ليعطيه طعامه بالعصاة يوما بيوم وكان لا يوافقه بل يترك طعامه على المايدة يومين يومين حتى يجف وينتن حينئذ يمضى يمزجه بالماء ويتناول منه (٤٤"أ" و٤٥).

وكان هذا الاب يضيق على نفسه فى الحياة النسكية بكل نوع حتى وصل به الحال إلى ان كان اخوته الرهبان تعف نفسهم من تذوق طعامه الذى كان يتغذى به ولا الحشايش الضارة التى كان يضعها فى طعامه وكان يغلى هذه الحشايش بالماء ويتركها أياما حتى تتتن وتمتلئ دودا فيأكلها عضوا عن الطعام. ولم تكن لهذا الشيخ عادة أن يأكل لونين من الطعام قط كما لم يتعود أن يشبع بطنه وكان اذا جلس على المائدة مع الاخوة لا يفارقه الكتاب الذى كان يضعه فى حجره وكان تارة يأكل ويبكى واخرى يقرأ ويبكى. ولما قصد اخوته الرهبان معرفة اسباب بكائه على المائدة قال لهم:"هكذا ياأولادى سأل الاخوة القديس باخوم أب الشركة عن سبب بكائه على المائدة فقال لهم ما بكائى إلا عليكم ياخوتى لأنى أنا آكل

خبزا فقط وانتم تأكلون من كل نوع" وكان اذا اضطره اخوته الرهبان أن يأكل على المائدة عسلا أو قليلا من الزيت كان ينتهر الأخ قائلا: كف عنى ياهذا لئلا تعميني" وكان لا يشير لعمى البصر بل كان يحقق لاخوته أن النفس التى تمتلئ من الشهوات الجسدانية تعمى فى ذاتها عن النظر إلى الله عز وجل. وكان من فرط صومه وتقشفه ان يترك ما يحمل اليه من الطعام ولا يطعم الاخوة سوى القراقيش والخل الممزوج بالماء لان من عادته انه كان يشتهى أن لا يكون لأحد رغبة فى المأكل والمشرب قط حتى ولا للعلمانيين الذين كانوا يأتون لزيارته فكان يلزمهم على مداومة الصوم فى كل يوم إلى التاسعة (٤٦) وكان لا يسمح للاخوة لا فى السبت ولا فى الحدود ولا فى أيام الخمسين ان يتناولوا إلا اليسير من الطعام فى الساعة التاسعة(٤٦"أ") وكان دايما يقول لأولاده عندما كانوا يشفقون على جسده من الضعف وآثار الشيخوخة:"لا ياأولادى لا تأمنوا لهذا الجسد ولا ترخوا له الحبل ولو فى القبر لئلا من الشبع نحرك فيه الأوجاع".

ولما أهدى اليه بعض محبيه وعاء مملوءاً عسل نحل أخذ الشيخ الوعاء بما فيه وطرحه تحت العقود إلى جانب بيت الخلاء فلما اطلع الاخوة على ذلك خاصموه فاجابهم قائلا:"لا ياأولادى لا تخاصمونى فان الموضع الذى هو صائر اليه اودعته فيه" فلما سمع الاخوة كلامه اتعظوا منه واتبعوه لأن كل أقواله وتعاليمه كانت نافعة جداً أساسها الحث على رفض الاشياء الجسدانية (ص٤٧).

بالاختصار كان هذا القديس مثالا حيا لاولاده واخوته الرهبان فى الحياة النسكية وزهد العالم وكانت تتكشف له أسرار عجيبة وخفايا غريبة حتى انه كان يكون مع أولاده الرهبان بالجسد وهو ينظر بالروح إلى كل الممالك الارثوذكسية وكان دايما يذكر كل واحد من ملوكها اعنى ملوك الحبش والروم والافرنج وغيرهم وقد أذاع الرب سبحانه وتعالى اسم هذا الشيخ القديس فى بلادهم حتى صاروا يحملون اليه من بعد هداياهم ويستغيثون به فى شدتهم وعند حروبهم ومما يذكر له فى سيرته الطاهرة ان أحد ملوك الأفرنج وقع بينه وبين أعدائه حروب فصار يستغيث بالقديس انطونيوس الكبير ولم يشعر إلا انه ابصر الشيخ مرقس ابن انطونيوس قائما معه فى الحرب وهو يهزم اعداءه أمام وجهه إلى أن طاردهم جميعاً وانتصر عليهم فلما نظر الملك ما كان تعجب وأخذ يتقصى من رؤساء دولته عن المنظر الذى رآه فاخبروه ان هذا المنظر ليس لأبينا انطونيوس بل هو

لأحد أولاده ولعله يكون للقديس مرقس ابن انطونيوس لان خبره كان ذائعا فى تلك البلاد فقام الملك للوقت لزيارته وحضر عند الأب مرقس واستدعى جميع الاخوة إلى بين يديه فلما وقفوا أمامه وعاينهم لم يعاين بينهم صورة الشيخ الذى ظهر له فى القتال فحزن جداً وأخذ يسأل ويفتش واذا بالشيخ يعبر عليه آتيا من بستان الدير وهو حامل جرتين ماء فلما نظره الملك وعرفه كشخص الرؤيا فرح جداً وانطرح للوقت ساجداً على قدميه وأخذ يقول لترجمانه: ان هذا هو الذى ابصرته قايما معى فى الحرب فى بلادى وهو يحارب عنى ويدافع".

ثم من عظم فرحه بلقاء الشيخ أخذ يسأل أن يقبل منه شيئا على سبيل الهدية فلم يقبل ولكن الاخوة توسلوا عند الشيخ كي يطلب إلى الملك أن يعمل لهم الجرس الكبير الذى بالدير وانصرف الملك مسروراً إلى بلاده وعمل الجرس الكبير وأرسله وقد صار هذا الجرس تذكارا حيا للآية التى صنعها الشيخ مع الافرنج ولهذا صارت كل طائفة من الفرنج لا تحضر إلى هذا الدير إلا ويسألون عن أبينا الشيخ فقد كان يمنحهم البركة ويعطيهم تذكارات من قبله يتباركون بها(٦٣).

وكان لا يحضر أحد إلى الشيخ من القريبين أو البعيدين إلا ويدعهم ينصرفون فرحين متعزين مجبورى الخاطر حتى نفس الاخوة الذين كانوا يسكنون معه ايضا كان لا يدع أحداً منهم تحزن نفسه إلا ويعزيه بكلمة مبروكة فيزول ما به من الحزن فى الحال(٦٣"أ").

وقد كان الذين يحضرون إلى الدير يأتون إلى الشيخ بالهدايا الثمينة فكان لا يلتفت اليها سوى بالبكاء والنوح على جميعهم حتى يرجعوا إلى الرب عن خطاياهم واثامهم(٦٤).

وقد كان فى آخر أيامه يلازم النوح والبكاء حتى أخذ يسأل الاخوة أن يطلقوا له باب الطافوس مفتوحا لينزل فيه ويسكن بين الأموات ويبكى فلما منعوه اجابهم قايلا:"ياأولادى لا تخاصمونى لأنه هكذا قال بعض الشيوخ: ان الذي يسكن بين الأموات لا يخطئ أبداً لانه ينظر حال من أخطأ قلبه ومات ويدرك كيف صار ويبكى على ما هو صاير عليه مثله".

وكان دايما يطلب من المرتل أن يتلو له مراثى أرميا التى بطريقتها المحزنة وكان يلزم الجميع بالسكوت مع البكاء وقت التلاوة إلى أن تفرغ تتمة المرثية(٦٥).

ومما يجدر ذكره لهذا الشيخ الحادث الذى وقع له هو والقس متى الذى اصبح بطريركا فى الطريق عندما قبض عليهما الأمير يلبغا للانتقام منهما مما أتاه الافرنج من أعمال النهب والسطو على مدينة الاسكندرية مما ورد مفصلا فى سيرة هذا البطريرك. وفى آخر أيامه اعلمه الروح القدس ان ساعته قد اقتربت حينئذ صار يعزى بنيه على مفارقتهم منه ويذكرهم بالقول الذى قاله مخلصنا يسوع المسيح لتلاميذه:"ياأولادى ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى" ولست ادعكم أيتاما بل سوف أجيئكم عن قليل" "ومن كانت عنده وصاياى ويحفظها ذاك هو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه الآب وأنا اظهر له نفسى".

وقد كان هذا الشيخ يشير دائما لأولاده الرهبان عن اقتراب ساعة انتقاله من هذا العالم حتى أدركه الضعف بغتة ووقع فى مخاض الموت فصار يودع أولاده وداع الموت بدموع وبكاء قائلا:"ستوحشونى ياأولادى وسيوحشنى انسكم وعزاءكم وقراءتكم لى الكتب فى كل ليلة ويوحشنى اجتماعكم الصالح وافتقادكم لى باكر وعشية ووسط النهار ويوحشنى عظم اجتهادكم معى ومؤازرتكم لى هكذا فى كل يوم ولكن ياأولادى ان وجدت لى عندكم دالة وقبلتم ما أوصيتكم به فليس لى عندكم وصية سوى ان تهتموا بعضكم ببعض وأن تحبوا بعضكم بعضا" وكان يودعهم باستمرار بمثل هذه الاقوال الثمينة والنصايح المحيية وكانوا يسمعونه وهو فى أشد حالة البكاء فكان يقول لهم:"كفاكم بكاء ياأولادى لانكم تعمون قلبى لكن اعلموا انه بعد أن حلت الساعة التى تكون فيها الوفاة قد رأيت من كثرة بكائكم اباءنا الشيوخ انطونيوس وبولا يسجدون أمام الكرسى ويسألون السيد المسيح أن يتركنى قليلا لكم" وهكذا ظل هذا الشيخ فى ذلك المرض كمال السنتين وكان عزاؤه رغم ضعفه ورقاده أعظم من عزائه وهو قايم على قدميه وقد بلغ هذه الشيخوخة الصعبة والضعف المتناهى ولم تتغير حاسة عقله ولم ينقص ضوء بصره من كثرة البكاء بل كان يميز كل من يدخل اليه ويعزى كل واحد كاستحقاقه(ص٦٧إلى ٧٠"أ").

ولما اقتربت الساعة صار الشيخ يزود أولاده بالنصايح والارشادات ويوصيهم بالسير معا بالمحبة حتى تتهد بالروح وصرخ قايلا:"قوموا ياأولادى وتفرقوا لانى وصلت إلى المينا كما هو مكتوب انه قد حضرت الساعة ليتفرق كل انسان منكم إلى مكانه" فصار الاخوة يسألونه ببكاء مر عن مصيرهم بعده

فقال:"اما قد سمعتم ما قاله مخلصنا: ان كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى الذى يحبنى ويحفظ وصاياى أنا لا افارقه البتة بل هوذا أنا حاضر معه فى كل وقت أحضر اليه واعزيه واترآى له" وصار يحدثهم هكذا إلى الساعة التى علم انه يسلم فيها الروح حينئذ نزع للوقت ما كان عليه من الثياب وصار عاريا وترك نفسه هكذا ولم يرض أن يلصق بجسده شيئاً. كان يقول لهم "انظروا ياأولادى كم عشت من العمر أمامكم وهكذا كما ولدت فى العالم عاريا فهكذا أنا خارج منه عاريا لم يتبعنى ثوب ولا زاد ولا همّ وكذلك تكونون انتم أيضا ياأولادى فلا تقتنوا لكم ثوبا ولا زادا ولا هما ولا يكون لكم رغبة قط فى شئ من مقتنيات هذا العالم البتة بل اتركوا عنكم ما هو أسفل واطلبوا ما هو فوق فإن مصيرنا نحن الكل إلى ما هو هناك ولا ينفعنا فى تلك الساعة لا خلا ولا صديقا ولا مالا ولا أولادا بل لا ينفع كل واحد منا ولا يكافأ كل منا سوى ما صنعت يداه ان كان خيرا أم شراً".

ولما دنت اللحظة الاخيرة اشار لتلاميذه واخوته ان يخرجوا ويتركوه وحده وكانت الساعة السادسة من النهار وكان ناقوس الصلاة قد ضرب فلما خرج الاخوة للصلاة وتركوه وحده اسند رأسه على أحد تلاميذه ورشم اعضاءه وحواسه بالصليب واسلم الروح للوقت فى تلك الساعة بكل هدوء وراحة حتى ان جماعة من الاخوة لم يصبروا إلى ان يكملوا الصلاة بل حضروا فوجدوه قد اسلم الروح فحزنوا عليه حزنا عظيما وحملوا جسده إلى البيعة وقام القمص ابرآم بتجنيزه بعد أن كفنه باكفان نقية وضع جسده فى تابوت من خشب نقى حسب طقسه واستحقاقه ثم اضاف على جسده فى ذلك التابوت من اللبان النقى والعندروس ثم اخذ عمامة جديدة من كتان صنعها كاللفائف ووضعها على جسد الشيخ وقبره فى قبر جديد داخل البستان. وكانت نياحة الشيخ القديس فى الساعة السادسة من يوم الاثنين التامن من شهر ابيب سنة ١١٠٢ للشهداء الاطهار (ص٧٤إلى ٧٧"أ").

وقد حكى احد الاخوة القديسيين المقيمين بالدير انه فى اليوم الذى انتقل فيه هذا الشيخ ابصر عساكراً واجنادا نورانية لا يحصى لها عدد قد نزلوا من السماء وأحاطوا بالدير أجمع وأقاموا بخارجه إلى أن دخلت امرأة حاملة طفل وقد غلب ضوءها نور الشمس فجلست إلى جانب الشيخ ثم قبلت نفسه الطاهرة اليها وكان جميع القديسين يرتلون قياما حولها حتى اصعدتها إلى السماء بفرح ومجد عظيم(٧٧"أ"و٧٨).

ولهذا الشيخ القديس فضائل عظيمة كما سبق ايضاحه فيما تقدم بيانه وقد كانت له عجائب لا تعد ولا تحصى ذكرت أهمها فى كتاب سيرته وكلها تدل على ما كانت له لدى الرب يسوع المسيح من المكانة حتى كان يستجيب لندائه ويلبى له كل طلب نفعنا الله ببركاته امين (مخلصا من كتاب ميامر شهر أبيب رقم ٢٤ تاريخ بمكتبة كنيسة السيدة العذراء الاثرية بحارة زويله بالقاهرة).

تاريخ القديس البار الانبا فريج
الشهير بانبا رويس
المقدمة

لقد استقيت تاريخ القديس البار الانبا فريج الشهير بانبا رويس من مصحف مخطوط قديم محفوظ بكنيسة العذراء مريم الموجود فى دير الخندق المعروف الآن بدير أنبا رويس تاريخ نسخها يوم الأحد ٢١ بابه سنة ١٤٦٩ش الموافق يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٧٥٢م والناسخ لها هو الشماس مسعود بن حنا ولد ميرهم الخواتكى صراف ناحية كوم اشفين والمهتم بها هو القمص برسوم خادم بيعة الشهيد مرقوريوس أبى السيفين بحارة البطرك بمصر القديمة وأوقفها على بيعة الست السيدة العذراء والقديس العظيم أنبا رويس بالخندق بضواحى القاهرة وكتب عليها البابا مرقس السابع البطريرك (١٠٦) الذى تولى الكرسى من سنة ١٤٦١ش إلى سنة ١٤٨٥ش بخطه الشريف بتاريخ ٢٣ كيهك سنة ١٤٦٩ش ما يثبت وقفها على بيعة القديس العظيم أنبا رويس.

التاريخ
١. عائلته وميلاده وطفوليته

ولد القديس فريج فى ضيعة منية بمين من أعمال الغربية من أبوين مسيحيين وكان اسم أبيه اسحق وامه سارة. وربياه على المبادئ المسيحية الطاهرة.

وكان ابوه فلاحا فلما شب القديس فريج عن الطوق كان يساعد أباه فى عمله. فاذا ما انتهى من عمل الحقل كان يبيع الملح على قعود صغير، وقد سمى قعوده هذا رويس لانه كان يداعب صاحبه برأسه الصغيرة، وقد كان هذا الجمل اليفاً وديعاً مطيعاً حتى انه كان اذا دعاه فريج باسمه يلبى دعوته، ولقد بلغ من ذكاء

هذا الجمل انه كان يغطى القديس اذا ما نام بدون غطاء ويوقظه فى مواعيد الصلاة.

٢. تشتيت عائلته بسبب الاضطهاد

وقد أقام القديس فريج فى منزل والده إلى أن بلغ العشرين من عمره وحدث ان وقع اضطهاد عظيم على النصارى وقاسوا من جرائه تجارب شديدة حتى ان والد القديس فريج خرج عن الايمان من شدة وطأة هذا الاضطهاد.

٣. اختفاء فريج وسفره إلى مصر ورؤياه

لما ظهر الاضطهاد وتشتت العائلة اختفى فريج وسافر إلى مصر لا ينوى على شئ ومن شدة تعبه وجوعه نام فى الطريق. فرأى فى نومه رجلين يلمعان كالبرق اختطفاه وحملاه إلى السماء ثم دخلا به إلى كنيسة سمائية رأى فيها جمعاً كبيرا من المصلين. وسمع صوتا من داخل يدعوه قائلا:"انت جوعان ياهذا تقدم وكل من خبز الحياة وحينذاك قدمه الرجلان المضيئان إلى المائدة وتناول من الاسرار المقدسة، ثم اعاداه إلى الموضع الذى أخذه منه وبعدما رأى هذه الرؤيا قام وعبر إلى مصر.

٤. سفره إلى الوجه القبلى واعتناقه اسم رويس

وبعد أن وصل مصر توجه إلى الوجه القبلى وفى هذه البلاد عمل على تغيير اسم فريج باسم رويس زيادة إلى انكار ذاته وابتعادا عن الصيت والشهرة العالمية، لأنه اشتهر بتعاليمه وعجائبه وقداسته ونسكه وطهارته، وتبعه جمهور عظيم من عارفى فضله، ولكنه تركهم ليعيش غريبا على الأرض إلى حيث لا يجد مكانا يسند فيه رأسه، وكان شديد الحنين إلى السماء وكثيراً ما كان يترنم بقول المرنم:"الويل لى فانى غريب وغربتى قد طالت، وسكنت فى مساكن قيدار" وكان يرنمها بنغمة الحزن وكان كل من يسمعه يبكى من شدة التأثر.

٥. شدة تقشفه وبره وتقواه

ولقد قسا هذا القديس على نفسه وقمع جسده فكان لا يأكل الا قليلا ويأكل التافه من الأطعمة، ولا يلبس إلا ما يستر العورة ويترك باقى الجسد عاريا معرضا لحرارة الصيف وبرد الشتاء. وكان شديد الحرص على حياته الروحية يخشى عليها من كل ما يخدشها. وكان ينسج فى حياته على منوال القديس يوحنا المعمدان.

ولقد طاف هذا القديس كل بلاد القطر من قوص إلى دمياط والاسكندرية وكان اذا دخل بلدا يعمل بيديه ليحصل على ما يقوم بأوده ويتصدق بما يتبقى من اجرته بعد أن يرسل لوالده ما يساعده على ضيقته.

وكثيرا ما عرض عليه أتباعه وتلاميذه الملابس الفاخرة أو النقود والهبات فكان يرفضها وكان ينظر إلى مقتنيات هذا العالم كأكبر معطل للإنسان عن خلاص نفسه. ومرة نظر إلى أحد تلاميذه وقال له محذرا:"إياك أن تطأ برجلك هذه العقرب لئلا تلدغك وتميتك بسمها القاتل" فنظر التلميذ إلى الأرض فوجد درهما ذهبيا فاندهش، فقد كان هذا القديس ينظر إلى الذهب والفضة كما ينظر إلى العقارب والأفاعى السامة وكان اذا اتفق وداس على شئ منها نفض الغبار الذى لصق برجله إمعانا فى الزهد بحطام الدنيا. وهذا التقشف الزائد وهذه الاراء الغريبة عن أهل العالم جعلت القديس فريدا فى بابه واعتبره أهل زمانه شاذا فاصبح وحيدا.

ولم يكتف بهذا الحرمان بل تفوق فى التقوى حتى كان يصرف حياته كلها فى الصلاة والصوم. فقد كان يصوم يومين يومين وثلاثة ثلاثة صوما إنقطاعيا ومرة صام اسبوعا كاملا واخرى صام ١١ يوما متوالية كما شهد بذلك البابا متاؤس البطريرك. واخرى صام ٢٦ يوما متواصلة وكان يقوم بتأدية هذه الاصوام سرا بحيث لا يفطن اليه أحد.

٦. مواظبته على تناول الاسرار المقدسة والحض على الاستعداد لها

لقد كان هذا القديس مواظبا على تناول الاسرار المقدسة فى جميع الاعياد والأعياد. وكان يتناولها فى خوف ورعدة وكثيرا ما كان يظهر تردداً عند التناول. معتبراً نفسه غير مستحق لتناولها. ولما سأله أحدهم عن هذا التردد اجابه:"انه لا يستحق التناول من هذه الأسرار المقدسة الا من كان جوفه طاهرا نقيا كأحشاء سيدتنا الطاهرة مريم التى استحقت أن تحمل المسيح فى أحشائها".

ولقد كان شديد الوطأة على من يتقدم إلى الاسرار المقدسة بدون استحقاق. وفى ذات مرة احضر فخذ خروف ملونا بالدماء وقدمه إلى بعض الذين تقدموا للتناول على غير استعداد وقال:"خذوا كلوا إذا استعطتم إلى ذلك سبيلا" فخجلوا من تقصيرهم.

وقد كشف الله عن بصيرته فكان يرى مجد الله حالا على الأسرار المقدسة فى الهيكل فيضئ بلمعان لا يوصف.

٧. سموه الروحى ومواهبه الروحية وتواضعه

واستطاع أنبا رويس بجهاد بجهاده وتواضعه وتذللـــه واحتقـاره للامـور المادية. ان يصل إلى درجة روحية سامية تفوق حد الادراك كأن ينتقل بروحه إلى أقصى بلاد العالم. فمرة إنتقل إلى أسيوط ورجع خلال ساعة انهى فيـــها مهمـة إنسانية جليلة. واخرى إنتقل إلى الشام لينجد مكروبا.

ووهبه الله معرفة الأسرار المكنونة. ودخول الأمكنة وأبوابها مغلقـــة. وقـد استعمل كل هذه المواهب الروحية الفايقة حد الطبيعة فى تمجيد اسم الله وخدمـــة الانسانية المعذبة. فكثيرا ما انصف مظلوما واغاث ملهوفا ورد خاطئا عن غيـــه وطاغيا عن ظلمه وخلّص نفوسا لا تعد ولا تحصى.

ولما كانت الاعمال العظيمة التى يضطر إلى القيام بها بدافع المروؤة والنجدة والحنان والعطف لا يقوم بها إلا الأنبياء وعظماء القديسين فقد أجله الناس وأرادوا أن يكرموه ويقدموا له ما يشجعه من التقديس والتعظيم ولكنه قاوم هـــذا الشـــعور بأعمال اخرى حقيرة لكى يقلل من قيمة أعماله الروحية الجليلة. فقد أنكر اســـمه عندما سأله عن اسمه. فكان يقول عن نفسه ان اسمه رويس أى اسم جمله. وعندما ألحوا عليه لمعرفة حقيقة اسمه. قال لهم سمونى:"تيجى أفليو (ⲧⲉϫⲓ ⲉⲫⲗⲏⲟⲩ) (أى تيجى الكاذب)." ومن الغريب أن هذا الاسم "تيجى" هو الذى أطلقته الكنيسة علـــى هذا القديس العظيم فى مجمعها وطلباتها وتماجيدها التى تقيمها تذكارا لجهاده.

٨. غرابة أسلوبه فى معيشته وتحمله الاضطهادات

وقد غطى اعماله الروحية العظيمة بسلوكه الغريب. فقـد كـان يسـير فـى الطرقات عارى الجسم مكشوف الرأس مشوش الشعر. يســكن فــى عشــة مــن الخوص أو ينام على قارعة الطريق. وكثيرا ما جلب عليه هذا الأسلوب الغريـب الغامض تهكمات العامة. وتعديات جُهّال النـــاس وســفهائهم. فكـــانوا يرجمونـــه ويلطمونه ويسبونه ويبصقون على وجهه ويطعنونه ويعتدون عليه بشتى ضـــروب الاعتداء والاذى. وكان يرحب بهذه الإضطهادات ويحتملها بصبر عجيب وكـــان عندما تثور نفسه ضد هذا الموضوع المهين يخاطبها بقوله "طوباك أيـــها الشـــهيد البطل جرجس. فقد أهانوك وضربوك وطعنوك وأماتوك وأنت فى شرخ الشـــباب

واحتملت كل ذلك من أجل المسيح اما انا الشيخ الذى لم يقاس عشر ما أتألم وأحزن وطوباك يايوحنا السابق الرجل العظيم لقد قدمت رأسك إلى الجزار هيرودس لكى يقطعها أما أنا الشيخ الفانى فإنى لا احتمل طعنة صغيرة. وأين ما لصابنى مما أصاب الشهداء العظام الذين تعرضوا للحريق والغرق والعذاب والعقاب والموت" ولكى يسد نقص العذابات التى كان يقاسيها من الناس كان يحبس نفسه فى امكنة نائية ويعتزل الناس اشهرا عديدة ويصرف هذه الأوقات فى الصلوات الحارة والاصوام الانقطاعية والاتصال بالله عز وجل ولقد نظر السيد المسيح إلى انسحاق قلبه وطموح روحه وحبه وقوة ايمانه وعظم صبره. وظهر له فى عزلته خمس مرات بمجد لا ينطق به وخاطبه مرة فما لأذن.

وبمثل هذه الرؤي كان يتشجع ويصمد لشتى الآلام وصروف الايام ويصمت عن الكلام وكثيرا ما اجتمعت حوله الغوغاء وسألوه كى يخاطبهم فكان لا يجاوبهم وفى مرة حتموا عليه أن يتكلم ولكنه لم يجبهم فاخذوا يضربونه ويكوون ظهره بالنار وصفعوه على فكه فخلعوا ضرسه لكى يفوه بكلمة فلم يظفروا منه بكلمة ما.

٩. اضطهاد الامير سودون لأنبا رويس
وسعى البابا متاؤس فى خلاصه

قبض عليه الغوغاء وقادوه إلى الأمير سودون فسأله عن قضيته فلم يرد وحاول الأمير عبثاً أن يرغمه على الكلام فلم يجبه إلى طلبه فامر بضربه فضرب اربعمائة عصا. وسأله بعد ذلك أن يفوه بكلمة واحدة. فلم يتكلم. فأمر بضربه مرة أخرى وبإلباسه طرطوراً أحمرا والسير به عاريا هو وتلميذه فى طرقات المدينة إمعاناً فى تحقيره والتشهير به. وأصابه فى ذلك اليوم من الرجم والضرب والإهانة ما تهتز لهوله الجبال. ولكنه احتمل كل ذلك صابراً لأن المسيح كان يظهر له ويقويه كما اخبر أخصائه فيما بعد.

واخيراً أمر الأمير بسجنه. فتألم تلميذه وتوجع من هول ما شاهد فقال له رويس:"لماذا تتنهد يابنى. لو انك رفعت عينيك إلى السماء وأبصرت السيد المسيح وهو قائم معنا وقت الضرب لما اهتممت بما قاسينا".

وكان بالسجن ثمانون اسيرا من الأفرنج فالتفوا حوله. فعزاهم وقواهم وطلبوا منه أن يسأل الله أن ينقذهم من سجنهم وأسرهم فصلى من أجلهم فاجاب الله طلباته بأن أرسل البابا متاؤس الكبير إلى الأمير وطلب إليه أن يطلق القديس فريج

والاسرى الأفرنج فاجاب الأمير طلبه فاطلقهم جميعا. فاخذ البابا البطريرك القديس إلى قلايته بحارة زويلة وصار يضمد جراحه ويعالجه حتى شفى وزال عنه ما كان يتألم منه.

١٠. ملخص أعماله الشفائية والخلاصية

نبتدئ بمعونة السيد المسيح وارشاد الروح القدس بكتابة الآيات والعجايب التى اجراها الله على يدى القديس العظيم أنبا فريج الشهير بانبا رويس وهى تتلخص فيما يأتى:-

(١) قابل القديس فريج الشماس اسحق بن الأديب فتنبأ له انه سيصير قسيسا على دير الخندق وانه سيموت عنده وسيجنزه ويدفنه فى دير الخندق وبعد أيام قليلة مات قسيس الخندق ورسم الشماس اسحق قسا بدله ومكث ثلاثة وثلاثين سنة يخدم فى هذا الدير إلى اليوم الذى تنيح فيه القديس فريج فقام بتجنيزه وبعد ذلك مرض القس المذكور ورأى القديس فى حلم اعلنه بقرب وفاته وطلب ان يسرع فى تسليم ما بعهدته ثم تنيح القس فى الميعاد الذى تنبأ عنه هذا القديس.

(٢) مرض أحد تلاميذ الأنبا رويس فصلى إلى الله أن يهديه الشفا بصلاة معلمه وأبيه ثم رآه فى حلم وقال له قد حضرت الساعة التى تترك فيها هذا العالم فاستيقظ حزينا وودع أهله استدعى اليه القديس ولما حضر أخذ اناء ماء وصلى عليه وسقى منه المريض رشم به باقى جسمه وقال له لا تخف قد وهبك السيد المسيح الحياة لتنظر يوم انتقالى وتسجل انوار حياتى وشدايدها فقام التلميذ معافى وكتب سيرة القديس كما تنبأ.

(٣) مرض المدعو ميخائيل البنا من بلدة منية السيرج بمرض الصرع حتى وصل إلى الموت فاستغاث بالله واستشفع بالقديس رويس ولما حضر القديس عنده لم يعرفه المريض وأصبح يرى عبيداً سودا قابضين على اسهم نارية يهددون حياته فحانت منه التفاتة فرأى القديس فصرخ اليه قايلا:"إنقذنى يا أبى من هؤلاء الزباينة القساة" فاجابه القديس قايلا:"اذا تبت عما أنت فيه أنقذتك منهم وردتهم عنك" فقال:"يارجل الله لقد تبت أمام الله وعلى يديك" فالتفت القديس إلى هؤلاء العبيد وأمرهم أن لا يعودا اليه مرة أخرى لانه عاد إلى المسيح واب فرجعوا عنه وللوقت أفاق المريض من نوبة مرضه معافى

صحيح الروح والجسد. وصار من هذا الوقت يتردد القديس على المنزل. وقد كان فيه بئر ماء ملح مر المذاق فصلى القديس وشرب منه فصار ماؤه عذبا وتبارك من هذا الماء المرضى وكانوا يشفون.

(٤) كان ببلدة بركة قرموط عائلة مسيحية وكان رجلها يدعى فخر الدولة ابن الشقى ولم يرزق نسلا وكان هو وزوجته يطلبان من الله أن يهبهما ولدا ويستشفعان بالقديس رويس فرزقهما الله ولداً وكانت والدته تأخذه وتباركه من القديس رويس واتفق بعد انتقال القديس من هذا العالم ان مرض الولد مرضا خطيرا ولما عوفى اصيب بالخرس والصمم والعمى فاغتمت والدته كثيراً ويأست من شفائه فقادته إلى قبر القديس رويس وهناك بكت بكاءاً مرا على مصيبة ولدها وطلبت إلى القديس أن يساعدها بصلواته على شفائه وبقوة ايمانها وحرارة صلاتها انفتحت عينا إبنها وهتف الطفل قائلا:"انظرى ياماه فاننى أرى القديس رويس ومعه سيدة جليلة القدر وراهب وقور وهم فى نور ومجد عظيم" فلما سمعت منه ذلك سجدت إلى الأرض ومجدت الله وتأكدت ان السيدة العظيمة كانت العذراء والراهب الشيخ هو القديس أنطونيوس كوكب البرية لأن ذلك اليوم كان تذكاره.

(٥) اصيبت سيدة من أعيان القبط تدعى بنت الزهرى برمد صديدى كاد يفقدها البصر ولما يئست من الشفاء على يد الأطباء لجأت إلى رجل الله أنبا رويس فلما رآها القديس تحنن عليها ورفع العصابة عن عينيها فامتنعت فانتهرها وجذب الرباط بشدة ثم تفل على الأرض وأخذ طينا وطلى به عينيها ونفخ فى وجهها ثلاث مرات فانفتحت عيناها للوقت ومجدت الله.

(٦) واتفق ان زوج بنت الزهرى سافر مع الامير منطاش إلى الشام وانقطعت عنها أخباره فالتجأت إلى القديس رويس وطلبت اليه أن يساعدها بحكمته فقال لها رويس:"لا يمكننى أن اساعدك إلا إذا توجهتُ إلى الشام ووقفت على أحوال زوجك. ونهض على الفور وسار فى الطريق إلى قناطر الأوز المؤدية إلى الشام وغاب نحو ساعة وعاد اليها. فلما أبصرته قالت له مكتئبة:"هل رجعت عن رأيك ألم تعدنى بالسفر إلى الشام لتطمئنى" فاجابها قائلا:"لقد بررت بوعدى وكنت فى هذه الساعة بالشام ورأيت زوجك وخلصته من اعدائه وهو الآن بأمان" فاندهشت المرأة ولم تفهم كلامه.

ولما رجع زوجها سألته عن أخباره فاجابها قائلا:"عند عودتى من الشـــام ثار علىّ الجنود المنطاشية وارادوا الفتك بى فى الصحراء ليستولوا على مـــا بعهدتى من الأموال. واذا بشيخ عربى عارى الجسم مكشوف الرأس كان على رأس جماعة هجم عليهم وبدد شملهم ورافقونى حتى أوصلونى إلى الوطـــاق السلطانى عند الملك الظاهر برقوق ففرح بى كثيراً وقصصت عليـــه كيفيـة خلاصى من الجنود. فاخذ يسألنى عن الشيخ العريان ومقره فلم استطع أن أدله عليه". فقالت زوجته:"ان هذا الشيخ العريان هو أبونا الطوبانى رويس الـــذى شفى عينى من الرمد قبل سفرك إلى الشام وعند غيابك الطويل طلبت نجدتـــه فانجدك".

فتوجه مع زوجته إلى مقر هذا القديس وقدم له بعض النقود شاكراً فرفض أخذ شئ منها وقال له:"لماذا تشكرنى. اننى لم اعمل شيئا يستحق الشكر فاذهب إلى السلطان برقوق الذى أعطاك هذه النقود من خزانته فانه سيلحقك بخدمتـــه وستمكث فى وظيفتك ست سنوات" فزاد اندهاش الزوج مـــن أقـــوال القديـــس وازداد اعجابه به. وتوجه إلى السلطان برقوق أخبره بكل ما حصل من القديس فرغب السلطان فى رؤية رجل الله الطاهر والتعرف به. وعين السلطان الزوج فى خاصته الشريفة وظل يعمل بها ست سنوات حسب نبوة الآب المذكور أمـــا زوجته فكانت تبر بصدقاتها على رهبان الاديرة وتوزع الهدايا على المســـاكين والمنقطعين والمترددين اعترافا بفضل هذا القديس.

(٧) كان رجلا غنيا يدعى السعيد بركة بن وجه المهر انكسرت رجله فاحضره رجاله إلى القديس رويس وسألوه أن يشفيه فانتهرهم فقـــال لـــهم:"هـــل أنـــا المستشفى العتيق حتى احضرتم الىّ ابن وجه المهر كى اعالجه!. فلو ان هـــذا الرجل عمل الرحمة مع اخوته المساكين الجياع واعانهم فـــى ضيقتـــهم بمـــا أعطاه الله من خير لطلبت شفاءه أما وهو لم يواسيهم فى كربهم فلا يســـتحق المساعدة".

فاجاب المريض متذللا وقال:"نعم ياأبى انى حولت وجهى عن مســـاعدة اخوتى الفقراء وقسوت عليهم فى شدتهم واعاهدك اليوم إذا منّ الله علىّ بالشفاء بصلواتك ان أعطى كل ما أملك للمساكين" ففرح به القديس وباركه وصلى الى الله متوسلا طلب شفائه فاجاب الله طلبه وقام معافى وباشر أعماله. وبر بوعده

فكان يغدق على المساكين بعطاياه ويفتقدهم ويزور أديرة الرهبان والراهبات ويقوم باحتياجاتهم ونبغ فى موهبة العطاء حتى بلغ ما قدمه لاخوة المسيح الف اردب قمح فى كل عام وكان كلما يسخا فى العطاء يزيده الله غنى ويساراً.

وحدث ان الملك الذى يخدمه هذا الارخن ابن بركة أراد أن يحوله عن ايمانه كى يتخذه وزيراً له فحزن وارتبك فى أمره فحضر اليه القديس رويس وقال له:"لا تحزن فسيموت هذا الملك قريباً وأنت ثابت على ايمانك" وفعلا تمت نبوته ومات الملك وتمسك الارخن بدينه وازداد تعلقا بالقديس رويس. وصادف مرة أن سافر ابن بركة فى مهمة بطريق البحر وهاج البحر وكادت المركب تغرق. فكتب ابن بركة ورقة بعنوان القديس رويس مستغيثا به وطرحها فى البحر. فرد عليه القديس يطمئنه على حياته وانه لن يصيبه غرق وقد نظر الله إلى رحمتك وتواضعك ووهبك اثنى عشر سنة على عمرك كى تكمل رسالة الاحسان التى تضطلع بها" ففرح ابن بركة جداً وازداد فى توزيع الصدقات. وعندما قربت ساعة انتقاله دفعه شعوره بدنو الأجل فباع كل أملاكه ووزع قيمتها على الفقراء والمحتاجين وكان كل أمنيته أن يموت فى حضرة البابا متاؤس وقد أجاب الله سؤاله فانه عندما كان يزور هذا البابا فى قلايته أدركه الموت فاهتم به وغسله بيده المباركة وكفنه وكتب على ورقة ما يأتى:"سألت فاعطيت قرعت ففتح الله لك" ووضعها فى نعشه ودفنه باجلال عظيم.

(٨) دخل القديس رويس ذات يوم فى بيت داود الشماع بايع الشراب بحارة الروم فوجد فيه كمية عظيمة من السكر اشتراها ذلك ليطبخها شرابا. فاخذها القديس والقى بها فى بئر البيت فاعترضت زوجة داود على ذلك ولامته على هذا التصرف السئ. فاجابها رويس بكل هدوء قايلا:"ان اعدام السكر أفضل من الحبس والجلد بالمقارع" وتركها ومضى. وفى تلك الساعة حضر زوجها ومعه جمع كثير من الشرطة الذين اخذا البحث عن السكر لأنه كان مسروقا من مخازن الحكومة فلم يجدوا شيئا ونجا داود من الحبس والجلد بالمقارع ومصادرة أمواله فشكر الله كثيراً على نجاته وسأل زوجته متعجبا عن سر الموضوع فاخبرته بما فعله القديس رويس. وفيما هو يفكر فيما أصابه من الخسارة بضياع السكر وافاه القديس وقال له:"انك تألمت لما أصابك من

الخسارة ولكن اشير عليك أن تأخذ من ماء البئر فى أوانيك فتحصل على الشراب المطلوب" فتردد الرجل فاخذ القديس سطلا وملأ من ماء البئر أوانى الشراب ووضعها على النار فتحولت شرابا طيبا إلى أن استوفى كمية سكره فاندهش الرجل كثيرا وطابت نفسه وانصرف عنه القديس ولكن الطمع ملأ قلب داود فاخذ من ماء البئر ووضعه فى قدر على النار لكى يحوله شرابا وبعد مجهود كبير ذاقه فوجد أن الماء زاد مرارة وملوحة. فبحث عن القديس رويس ولما عثر به رجاه أن يساعده فى تحويل الماء إلى شراب. فاجابه القديس قائلا:"ما أشد طمعك لقد حصلت على سكرك فلماذا تريد أن تأخذ ما ليس لك ابحث ياهذا عن خلاص نفسك".

(٩) اعتاد جندى بحارة الجوانية أن يركب فرسه ويأخذ خبزاً ليتصدق على الفقراء والمساكين فرأى ذات مرة أنبا رويس جالساً على الأرض فى أسمال بالية فظنه محروما فتصدق عليه ببعض الخبز فاخذه القديس منه على غير عادته ولم يتركه ينصرف وأخذ حفنتين من التراب وضعهما فى منديل قال له:"لا تحتقر هذه العطية وستعلم منها ان الفقر الاختيارى فى سبيل الله اثمن من غنى العالم كله"

فلما وصل الجندى إلى منزله وفحص ما يحويه المنديل فوجد نقودا فضية جديدة فاندهش هو واهل بيته وشجعه على مضاعفة احسانه. ثم أخذ يبحث عن القديس رويس فلما وجده فرح به فرحا شديداً واراد أن يتصدق عليه لكى يعطيه عوض صدقته ترابا فاجابه القديس:"هل ظننتنى فلاحا فاردت أن تستولى منى على خراج أرضى؟ اذهب وفرق على المساكين وعامل الفلاحين بالحسنى فمن يزرع بالبركات فبالبركات يحصد" فسر الجندى من كلام القديس وازداد فى عمل الخير وعامل الناس بالمعروف فضاعف الله له الخير وبارك له فى كل ما يملك.

وبالاختصار فان للقديس رويس أعمالا لا تعد ولا تحصى وكلها فى سبيل الخير من شفاء المرضى والخلاص من الضيق ونوال الخلاص بالتوبة وهداية الخطاة والانقاذ من الشدايد وسطوة اللصوص نفعنا الله ببركات هذا القديس وشفانا من أمراضنا الروحية والجسدية امين.

١١. استئناف القديس رويس رسالته الخلاصية

واستأنف القديس رسالته الدينية الخلاصية على اسلوبه الفريد فكان يؤم المنازل ويعلم المؤمنين ويقويهم على احتمال الآلام والاضطهاد ويساعدهم على حمل اتعابهم ويشفى مرضاهم ويهدى خطاتهم ويتنبا عما فى جوف المستقبل من الحوادث العظيمة الشأن واهمها انذار قومه بوقوع غلاء فاحش سيعم أرض مصر وصار يحثهم على ادخار ما يقوم باودهم فى تلك الظروف الحرجة. فاطاعوه وفعلا عم مصر غلاء لم تره فى كل ادوار تاريخها حتى ارتفع ثمن القمح من ٤٠ درهما إلى ٤٠٠ درهما وبذلك امكنه انقاذ حياة الفقراء والمساكين من تأثير موجة الغلاء المميت.

وكان من أهم أعماله الاهتمام بمساعدة الرهبان والراهبات وكان يحض المؤمنين على مساعدتهم وينتهر اغنياء الامة البخلاء فيطيعونه ويتسابقون فى عمل الخير.

١٢. مرض القديس فى اواخر ايامه

وختم هذا القديس جهاده باحتمال مرض مزمن بصبر وجلد كأيوب الصديق ظل يعانى آلام المرض مدة تسع سنوات متتالية وهو طريح الفراش صامتا لا يكلم احدا محتملا كل هذه العوارض صارفا وقته فى التنهد والبكاء والصلاة من أجل خلاص الخطاة الذين كانوا يترددون عليه وكان الناس يقصدونه من كل الجهات فينالون التعزية على يديه وهو فى فراش المرض ويبرأون روحيا وجسديا ويهتدون بهديه ويتباركون منه.

١٣. انتقال القديس من العالم

وعندما علم بنهاية اجله استدعى تلاميذه وبارك عليهم واحداً واحداً ومسح جسده بالماء راشما كل اعضائه من قمة الرأس إلى اخمص القدمين بعلامة الصليب.

وفى يوم الاحد ٢١ بابه سنة ١١٢١ش الموافق ١٨ اكتوبر سنة ١٤٠٤م اسلم روحه الطاهرة ولم يكن بجانبه ساعة موته الا السيدة العذراء التى طلبها فاجابت نداءه كما اخبر احد تلاميذه حيث قال:"قد رايت فى تلك الساعة امرأة منيرة كالشمس جالسة إلى جانب هذا الأب قد سلمها روحه المباركة تحقيقا لأمنيته وبذلك اكمل جهاده الحسن بسلام".

وانتقل هذا القديس فى نفس اليوم الذى فيه تقيم الكنيسة تذكارا لسيدتنا العذراء ودفن بجوار كنيستها الطاهرة بدير الخندق.

١٤. سرقة جسد القديس دفعتان ورده إلى مقبرته

وفى اليوم الثامن من دفنه سرق جسده فظهر لتلاميذه اعلمهم بواقعة الحال فأعادوه إلى قبره وكانت تجرى من جسده الطاهر آيات كثيرة فاغرى ذلك جماعة من المؤمنين فحاولوا ان ينقلوا الجسد الطاهر إلى دير شهران فحملوه فى سفينة فى النيل وفى طريقهم إلى الدير المذكور ثارت عليهم رياح شديدة وعواصف هوجاء كادت تغرقهم فاضطروا ان يرجعوا الجسد إلى قبره المبارك وظل القديس محافظا على كرامة جسده إلى وقتنا هذا.

وقد قامت جميعة نهضة الكنائس بهمة رئيسها الاستاذ أيوب فرج بتجديد بيعة هذا القديس فوق قبره الطاهر دون ان تتمكن من نقل رفاته من مكانها الاصلى وقت التجديد لان هذا القديس حافظ على قبره فى مكانه حتى لا تمس رفاته. نفعنا الله ببركاته امين.

فهرست

		صفحة
	المقـــــــــدمة	١
	مصـــــادر الكتاب	٣
	تصـــــــــدير	٤
١	طفولية القديس متى	٦
٢	ميله إلى الرهبنة منذ حداثة سنه	٧
٣	انتصاره في أول تجربة حلت به	٧
٤	رسامته قساً	٨
٥	هربه إلى جبال القديس أنطونيوس	٨
٦	رحلته إلى أورشليم	٨
٧	عودته إلى دير أنطونيوس العظيم	٩
٨	اضطهاد القس متى والشيخ مرقس الانطونى	٩
٩	القس متى فى دير المحرق بجبل قسقام	١١
١٠	ترشيحه للبطريركية	١١
١١	رسامته باسم متاؤس الأول	١٢
١٢	توجيه اهتمامه نحو تأدية فروض الصلوات واعانة المساكين	١٣
١٣	درس فى الاعتماد على الله بدلا من المال	١٤
١٤	مقاومة البابا للمجاعة ومكافحة الغلاء	١٥
١٥	الرحمة تأتى ثماراً جيدة	١٦
١٦	نصائح وأحكام البابا متاؤس بارشاد الروح القدس	١٨
١٧	تجديد عهد السلام بين مصر وملوك الحبشة	٢٠
١٨	هدايا الملوك للبابا متاؤس لتجديد المحبة والصلح	٢٢
١٩	حلم البابا متاؤس وصفحه عن خصومه	٢٣
٢٠	فشل سعى العامة لهدم كنيسة المعلقة	٢٥
٢١	فشل مؤامرة المعاندين فى أمر هدم دير شهران	٢٥
٢٢	خلع السلطان برقوق ونفيه إلى الكرك	٢٦
٢٣	اضطهاد الأميرين منطاش ويلبغا للبابا متاؤس	٢٧
٢٤	عودة السلطان برقوق إلى الحكم	٢٧

صفحة

٢٥	القضاء على ثورة الشام وأسر الأمير منطاش	٢٨
٢٦	قيام تيمور لنك بغزو الشرق	٢٨
٢٧	وفاة السلطان برقوق وقيام ابنه السلطان فرج	٢٩
٢٨	خلاص البابا متاؤس من الاضطهاد والسجن	٢٩
٢٩	قيام الامراء باضطهاد البابا متاؤس وفشلهم	٣٠
٣٠	مواهب الشفاء التى منحها الله للبابا متاؤس	٣٢
٣١	قيام البابا بإعانة ذوى الضيقات	٣٦
٣٢	كشفه لخطايا شعبه وخفايا الأمور	٣٩
٣٣	انتقال البابا متاؤس من هذا العالم	٤١
٣٤	وصيته قبل وفاته	٤١
٣٥	الاحتفـــــــال بجنازته	٤٢
٣٦	العجايب التى أظهرها بعد دفنه	٤٢
٣٧	أسماء الشهداء القديسين الذين استشهدوا فى عهده	٤٤
٣٨	مرثيـــــــة	٤٧
	تاريخ الشيخ القديس مرقس الأنطونى	٥٣
	تايخ القديس البار الأنبا فريج (الشهير بأنبا رويس)	٦١
١	عائلته وميلاده وطفوليته	٦١
٢	تشتيت عائلته بسبب الاضطهاد	٦٢
٣	اختفائه وسفره إلى مصر	٦٢
٤	سفره إلى الوجه القبلى	٦٢
٥	شدة تقشفه وبره	٦٢
٦	مواظبته على تناول الأسرار المقدسة	٦٣
٧	سموه الروحى ومواهبه وتواضعه	٦٤
٨	غرابة أسلوبه فى معيشته وتحمله الاضطهادات	٦٤
٩	إضطهاد الأمير سودون له	٦٥
١٠	ملخص أعماله الشفائية والخلاصية	٦٦
١١	استئناف رسالته الخلاصية	٧١
١٢	مرض القديس فى أواخر أيامه	٧١
١٣	انتقاله من العالم	٧١
١٤	سرقة جسده ودفعتان ورده إلى مقبرته	٧٢

سلسلة تاريخ

البابلوات بطاركة الكرسى الاسكندرى

الحلقة الرابعة

من البطريرك ٨٨ إلى البطريرك ١٠٣

(١٤٠٩ ــ ١٧١٨م)